

غِزَاءُ الرُّوحِ

مِنْ كِتَابِ لَدَائِحِ

لِلشَّيْخِ عَائِضِ الْقُرْنِيِّ

اِنْتَقَاهُ أَبُو اَنْسٍ عَبْدِ اللّٰهِ

يا الله

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: إذا اضطرب البحرُ، وهاج الموجُ، وهبَّت الرِّيحُ، نادى أصحابُ السفينة: يا الله. إذا ضلَّ الحادي في الصحراءِ ومال الركبُ عن الطريقِ، وحاترِ القافلةُ في السيرِ، نادوا: يا الله. إذا وقعت المصيبةُ، وحلَّت النكبةُ وجثمتِ الكارثةُ، نادى المصابُ المنكوبُ: يا الله. إذا أوصدت الأبوابُ أمام الطالبين، وأسدلت الستورُ في وجوه السائلين، صاحوا: يا الله. إذا بارت الحيلُ وضاقَت السُّبُلُ وانتهت الآمالُ وتقطعتِ الحبالُ، نادوا: يا الله. إذا ضاقت عليك الأرضُ بما رحبتُ وضاقت عليك نفسك بما حملتُ، فاهتفُ: يا الله. إليه يصعدُ الكلمُ الطيبُ، والدعاءُ الخالصُ، والهاتفُ الصادقُ، والدمعُ البريءُ، والتفجُّعُ الوالِهُ. إليه تُمدُّ الأَكْفُ في الأسحارِ، والأيدي في الحاجاتِ، والأعينُ في الملماتِ، والأسئلةُ في الحوادثِ. باسمه تشدو الألسنُ وتستغيثُ وتلهجُ وتنادي، وبذكره تطمئنُّ القلوبُ وتسكنُ الأرواحُ، وتهدأُ المشاعرُ وتبردُ الأعصابُ، ويثوبُ الرُّشدُ، ويستقرُّ اليقينُ، ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بَعَادِهِ﴾. الله: أحسنُ الأسماءِ وأجملُ الحروفِ، وأصدقُ العباراتِ، وأثمنُ الكلماتِ، ﴿هَلْ تَعَلَّمَ لَهُ سَمِيًّا﴾؟! الله: فإذا الغنى والبقاءُ، والقوةُ والنُّصرةُ، والعزُّ والقدرةُ والحكمةُ، ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. الله: فإذا اللطفُ والعنايةُ، والغوثُ والمددُ، والوُدُّ والإحسانُ، ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾. الله: ذو الجلالِ والعظمةِ، والهيبةِ والجبروتِ. اللهم فاجعلْ مكان اللوعة سلوةً، وجزاء الحزنِ سروراً، وعند الخوفِ أمناً. اللهم أبردْ لاعج القلبِ بثلجِ اليقينِ، وأطفئْ جمرَ الأرواحِ بماءِ الإيمانِ.

فَكِّرْ وَأَشْكُرْ

المعنى: أن تذكر نعم الله عليك فإذا هي تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ صحّة في بدن، أمن في وطن، غذاء وكساء، وهواء وماء، لديك الدنيا وأنت ما تشعر، تملك الحياة وأنت لا تعلم ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهراً وباطناً﴾ عندك عينان، ولسان وشفتان، ويدان ورجلان ﴿فبأي آلاء ربكمَا تكذبان﴾ هل هي مسألة سهلة أن تمشي على قدميك، وقد بترت أقدام؟! وأن تعتمد على ساقيك، وقد قطعت سوق؟! أحقيق أن تنام ملء عينيك وقد أطار الألم نوم الكثير؟! وأن تملأ معدتك من الطعام الشهيّ وأن تكرر من الماء البارد وهناك من عكر عليه الطعام، ونغص عليه الشراب بأمراض وأسقام؟! تفكر في سمعك وقد عوفيت من الصمم، وتأمل في نظرك وقد سلمت من العمى، وانظر إلى جلدك وقد نجوت من البرص والجذام، والمخ عقلك وقد أنعم عليك بحضوره ولم تُفجع بالجنون والذهول.

مَا مَضَى فَات

تذكر الماضي والتفاعل معه واستحضاره، والحزن لمآسيه حمق وجنون، وقتل للإرادة وتبديد للحياة الحاضرة. إن ملف الماضي عند العقلاء يُطوى ولا يُروى؛ لأنه مضى وانتهى، لا الحزن يعيده، ولا الهم يصلحه، ولا الغم يصحّحه، لا الكدر يحييه، لأنه عدم، لا تعش في كابوس الماضي وتحت مظلة الفات، أنقذ نفسك من شبح الماضي.

اترك المستقبل حتى يأتي

﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ لا تستبق الأحداث، إن إعطاء الذهن مساحةً أوسع للتفكير في المستقبل وفتح كتاب الغيب ثم الاكتواء بالمزعجات المتوقعة ممقوت شرعاً؛ لأنه طول أمل،

وهو مذموماً عقلاً؛ لأنه مصارعةٌ للظُلِّ. إن كثيراً من هذا العالم يتوقع في مُستقبلهِ الجوعَ العري والمرضَ والفقرَ والمصائبَ، وهذا كُلُّهُ من مُقرراتِ مدارسِ الشيطانِ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾. كثيرٌ هم الذين سيكون؛ لأنهم سوف يجوعون غداً، وسوف يمرضون بعد سنةٍ، وسوف ينتهي العالمُ بعد مائةٍ عامٍ. إنَّ الذي عمرُهُ في يدٍ غيره لا ينبغي له أن يراهن على العدمِ، والذي لا يدري متى يموتُ لا يجوزُ له الاشتغالُ بشيءٍ مفقودٍ لا حقيقة له. اترك غداً حتى يأتيك، لا تسأل عن أخبارِهِ، لا تنتظر زحوفه، لأنك مشغولٌ باليوم.

كَيْفَ تُوَاجِهُ النَّقْدَ الْآثِمَ ؟

الرُّقْعَاءُ السُّخْفَاءُ سَبُّوا الْخَالِقَ الرَّازِقَ جَلًّا فِي عِلَاهِ، وَشْتَمُوا الْوَاحِدَ الْوَاحِدَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَمَاذَا أَتَوَقَّعُ أَنَا وَأَنْتَ وَنَحْنُ أَهْلَ الْحَيْفِ وَالخَطَا، إِنَّكَ سَوْفَ تُوَاجِهُهُ فِي حَيَاتِكَ حَرْبًا! ضَرْوَسًا لَا هَوَادَةَ فِيهَا مِنَ النَّقْدِ الْآثِمِ الْمَرِّ، وَمِنَ التَّحْطِيمِ الْمَدْرُوسِ الْمَقْصُودِ، وَمِنَ الْإِهَانَةِ الْمَتَعَمَّدَةِ مَا دَامَ أَنَّكَ تُعْطِي وَتُبْنِي وَتَوَثِّرُ وَتَسْطَعُ وَتَلْمَعُ، إِنَّكَ إِنْ أَصْغَيْتَ لِكَلَامِ هَؤُلَاءِ وَتَفَاعَلْتَ بِهِ حَقَّقْتَ أَمْنِيَّتَهُمُ الْغَالِيَةَ فِي تَعْكِيرِ حَيَاتِكَ وَتَكْدِيرِ عَمْرِكَ، أَلَا فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ، إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَغْلِقَ أَفْوَاهَ هَؤُلَاءِ، وَلَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَعْتَقِلَ أَلْسِنَتَهُمْ لَكِنَّا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْفِنَ نَقْدَهُمْ وَتَجْنِيَهُمْ بِتَجَافِيكَ لَهُمْ، وَإِهْمَالِكَ لَشَأْنِهِمْ، وَاطِّرَاحِكَ لِأَقْوَالِهِمْ!. ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾.

لَا تَنْتَظِرْ شُكْرًا مِنْ أَحَدٍ

خلق اللهُ العبادَ ليذكروهُ ورزق اللهُ الخليفةَ ليشكروهُ، فعبد الكثيرُ غيره، وشكرَ الغالبُ سواه، لأنَّ طبيعةَ الجحودِ والنكرانِ والجفاءِ وكُفْرانِ النِّعمِ غالبَةٌ على النفوسِ، فلا تُصَدِّمُ إِذَا وَجَدْتَ

هؤلاء قد كفروا جميلك، وأحرقوا إحسانك، ونسوا معروفك، بل ربما ناصبوك العداً، ورموك بمنجنيق الحقدِ الدفين، لا لشيءٍ إلا لأنك أحسنت إليهم ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، اعمل الخير لوجهِ الله؛ لأنك الفائزُ على كل حالٍ، ثم لا يضرك غمطٌ من غمطك، ولا جحودٌ من جحدك، واحمدِ الله لأنك المحسنُ، واليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾. وقد ذهل كثيرٌ من العقلاء من جبلة الجحودِ عند الغوغاءِ، وكأنهم ما سمعوا الوحي الجليل وهو يعني على الصنف عتوه وتمرده ﴿مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لا تُفاجأ إذا أهديت بليداً قلماً فكتب به هجاءك، أو منحت جافياً عصاً يتوكأ عليها ويهشُّ بها على غنمه، فشجَّ بها رأسك، هذا هو الأصلُ عند هذه البشرية المحنطة في كفن الجحودِ مع باريها جلَّ في علاه، فكيف بها معي ومعك؟!.

قضاءٌ وقدرٌ

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، جفَّ القلمُ، رُفعتِ الصحفُ، قضي الأمرُ، كتبت المقاديرُ، ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾، ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. إن هذه العقيدة إذا رسخت في نفسك وقررت في ضميرك صارت البلية عطيةً، والمحنة منحةً، وكلُّ الوقائع جوائز وأوسمةً "ومن يُردِ الله به خيراً يُصب منه" فلا يصيبك قلقٌ من مرضٍ أو موتٍ قريبٍ، أو خسارةٍ ماليةٍ، أو احتراقٍ بيتٍ، فإنَّ الباري قد قدرَ والقضاءُ قد حلَّ، والاختيارُ هكذا، والخيرةُ لله، والأجرُ حصل، والذنبُ كُفِّر. هنيئاً لأهل المصائب صبرهم ورضاهم عن الآخذ، المعطي، القابض، الباسط، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. ولن تهدأ أعصابك وتسكن بلائُ نفسك، وتذهب

وساوسُ صدركِ حتى تؤمن بالقضاءِ والقدرِ، جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ فلا تذهبُ نفسك
حسراتٍ، لا تظنُّ أنه كان بوسعك إيقافُ الجدار أن ينهار، وحبسُ الماءِ أن ينسكبُ، ومنعُ الريحِ
أن تهبُّ، وحفظُ الزجاج أن ينكسر، هذا ليس بصحيحٍ على رغمي ورغمك، وسوف يقعُ
المقدورُ، وينفذُ القضاءُ، ويحلُّ المكتوبُ ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾. استسلم
للقدر قبل أن تطوق بجيش السُّخط والتذمُّر والعيول، اعترف بالقضاءِ قبل أن يدهمك سيلُ
النَّدَمِ، إذا فليهدأْ بالك إذا فعلت الأسباب، وبذلت الحيل، ثم وقع ما كنت تحذرُ، فهذا هو الذي
كان ينبغي أن يقع، ولا تقل "لو أُنِي فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر اللهُ وما شاء
فعل".

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

يا إنسانُ بعد الجوع شبعٌ، وبعدَ الظَّمأِ ريٌّ، وبعدَ السَّهْرِ نومٌ، وبعدَ المرضِ عافيةٌ، سوف يصلُ
الغائبُ، ويهتدي الضالُّ، ويُفكُّ العاني، وينقشعُ الظلامُ ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ
عِنْدِهِ﴾. بشرَ الليل بصبح صادق يطاردهُ على رؤوسِ الجبال، ومساربِ الأودية، بشرَ المهمومَ
بفرجٍ مفاجئٍ يصلُ في سرعةِ الضَّوءِ، ولمحِ البصرِ، بشرَ المنكوب بلطفٍ خفيٍّ، وكفٍ حانيةٍ
وادعةٍ. إذا رأيت الصحراء تمتدُّ وتمتدُّ، فاعلم أن وراءها رياضاً خضراء وارفةً الظلال. إذا
رأيت الحبل يشتدُّ ويشتدُّ، فاعلم أنه سوف ينقطع. مع الدمعةِ بسمتهُ، ومع الخوفِ أمنٌ، ومع
الفرعِ سكينتهُ. النارُ لا تحرقُ إبراهيم الخليل، لأنَّ الرعايةَ الربانيةَ فتحتْ نافذةً ﴿بَرْدًا وَسَلَامًا
عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾. البحرُ لا يُغرقُ كليمَ الرَّحْمَنِ، لأنَّ الصَّوتَ القويَّ الصادقَ نطقَ بـ ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ
رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. المعصومُ في الغارِ بشرَ صاحبهُ بأنه وحدهُ جلَّ في علاه معنا؛ فنزل الأمنُ والفتحُ
والسكينة. إن عبيد ساعاتهم الراهنة، وأرقاءَ ظروفهم القاتمة لا يرونَ إلاَّ النكدَ والضيقَ

والتَّعَاسَةَ، لأنهم لا ينظرون إلَّا إلى جدار الغرفة وباب الدَّارِ فَحَسَبُ. أَلَا فَلْيَمُدُّوا أَبْصَارَهُمْ وَرَاءَ الْحُجُبِ وَلْيُطْلِقُوا أَعْنَةَ أَفْكَارِهِمْ إِلَى مَا وَرَاءَ الْأَسْوَارِ. إِذَا فَلَا تَضِقْ ذِرْعًا فَمِنَ الْمُحَالِ دَوَامُ الْحَالِ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ، الْأَيَّامُ دُوْلٌ، وَالدهرُ قُلْبٌ، وَالليالي حُبَالِي، وَالغَيْبُ مُسْتَوْرٌ، وَالْحَكِيمُ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، وَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

اصنع من الليمون شراباً حلواً

الذكيُّ الأريبُ يحوُّلُ الخسائرَ إلى أرباحٍ، والجاهلُ الرَّعْدِيدُ يجعلُ المصيبةَ مصيبتينِ. طُرِدَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ فَأَقَامَ فِي الْمَدِينَةِ دَوْلَةً مَلَأَتْ سَمْعَ التَّارِيخِ وَبَصْرَهُ. إِذَا دَاهَمَتْكَ دَاهِيَةٌ فَانظُرْ فِي الْجَانِبِ الْمَشْرِقِ مِنْهَا، وَإِذَا نَاوَلَكَ أَحَدُهُمْ كُوبَ لَيْمُونٍ فَأَضْفِ إِلَيْهِ حِفْنَةً مِنْ سُكَّرٍ، وَإِذَا أَهْدَى لَكَ ثَعْبَانًا فَخُذْ جِلْدَهُ الثَّمِينِ وَاتْرِكْ بَاقِيَهُ، وَإِذَا لَدَغَتْكَ عَقْرَبٌ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَصْلٌ وَاقٍ وَمَنَاعَةٌ حَصِينَةٌ ضِدَّ سُمِّ الْحَيَاتِ. تَكَيَّفْ فِي ظَرْفِكَ الْقَاسِي، لِتَخْرُجَ لَنَا مِنْهُ زَهْرًا وَوَرْدًا وَيَاسْمِينًا ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

الإيمانُ هو الحياةُ

الأشقياءُ بكلِّ معاني الشقاءِ همُ المفلسون من كنوزِ الإيمانِ، ومن رصيدِ اليقينِ، فهمُ أبدأً في تعاسةٍ وغيظٍ ومهانةٍ وذلةٍ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾. لَا يُسَعِدُ النَّفْسَ وَيَزَكِّيها وَيَطَهِّرُها وَيَفْرِحُها وَيَذْهَبُ غَمُّها وَهَمُّها وَقَلْقَها إِلَّا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا طَعْمَ لِلْحَيَاةِ أَصْلًا إِلَّا بِالْإِيمَانِ. وَبِقَدْرِ إِيمَانِكَ قُوَّةٌ وَضَعْفًا، حَرَارَةٌ وَبَرُودَةٌ، تَكُونُ سَعَادَتِكَ وَرَاحَتِكَ وَطَمَآنِينَتِكَ. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ وهذه الحياة الطيبة هي استقرار نفوسهم لحسن موعود ربهم، وثبات قلوبهم بحب باريهم، وطهارة ضمائرهم من أضرار الانحراف، وبرود أعصابهم أمام الحوادث، وسكينة قلوبهم عند وقع القضاء، ورضاهم في مواطن القدر، لأنهم رضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً.

اجن العسل ولا تكسر الخلية

الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، اللين في الخطاب، البسمة الرائقة على المحيا، الكلمة الطيبة عند اللقاء، هذه حُللٌ منسوجة يرتديها السعداء، وهي صفات المؤمن كالنحلة تأكل طيباً وتصنع طيباً، وإذا وقعت على زهرة لا تكسرها؛ لأن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. إن من الناس من تشرَّب لقدمهم الأعناق، وتشخص إلى طلعاتهم الأبصار، وتحيةهم الأئدة وتشيعهم الأرواح، لأنهم محبوبون في كلامهم، في أخذهم وعطائهم، في بيعهم وشرائهم، في لقاءهم ووداعهم. إن اكتساب الأصدقاء فنٌّ مدروسٌ يجيده النبلاء الأبرار، فهم محفوفون دائماً وأبداً بهالة من الناس، إن حضروا فالبشر والأنس، وإن غابوا فالسؤال والدعاء. إن هؤلاء السعداء لهم دستور أخلاقٍ عنوانه: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فهم يمتصون الأحقاد بعاطفتهم الجياشة، وحلمهم الدافئ، وصفحهم البريء، يتناسون الإساءة ويحفظون الإحسان، تمرُّ بهم الكلمات النابية فلا تلج آذانهم، بل تذهب بعيداً هناك إلى غير رجعة. هم في راحة، والناس منهم في أمن، والمسلمون منهم في سلام " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم " " إن الله أمرني أن أصل من قطعني وأن أعفو عمن ظلمني وأن أعطي من حرمني " ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ بشر هؤلاء بثواب عاجلٍ من

الطمأنينة والسكينة والهدوء. وبشرهم بثوابٍ أخرويٍّ كبيرٍ في جوارِ ربِّ غفورٍ في جناتٍ ونَهْرٍ
﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

الصدقُ حبيبُ الله، والصراحةُ صابونُ القلوبِ، والتجربةُ برهانٌ، والرائدُ لا يكذبُ أهله، ولم
يوجدَ عملٌ أشْرَحُ للصدرِ وأعظمُ للأجرِ كالذكرِ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ وذكرُهُ سبحانه جنتُهُ في
أرضِهِ، من لَمْ يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهو إنقاذٌ للنفس من أوصابها وأتعبها
واضطرابها، بل هو طريقٌ ميسرٌ مختصرٌ إلى كلِّ فوزٍ وفلاح. طالعُ دواوين الوحي لترى فوائدَ
الذكرِ، وجربُ مع الأيامِ بلسمهُ لتنالَ الشفاءَ. بذكره سبحانه تنقشعُ سُحُبُ الخوفِ والفرعِ
والهمِّ والحزنِ. بذكره تُزاحُ جبالُ الكَرْبِ والغمِّ والأسى. ولا عجبَ أن يرتاحَ الذاكرون، فهذا
هو الأصلُ الأصيلُ، لكن العَجَبَ العُجَابَ كيف يعيشُ الغافلون عن ذكرِهِ ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ
وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾. يا مَنْ شكى الأرق، وبكى من الألم، وتفجّع من الحوادثِ، ورمتهُ
الخطوبُ، هيا اهتفِ باسمه المقدس، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾. بقدرِ إكثاركَ من ذكرِهِ ينسبطُ
خاطرُكَ، يهدأ قلبُكَ، تسعدُ نفسُكَ، يرتاحُ ضميرُكَ، لأن في ذكره جَلٌّ في علاه معاني التوكّلِ عليه،
والثقةِ به والاعتمادِ عليه، والرجوعِ إليه، وحسنِ الظنِّ فيه، وانتظارِ الفرجِ منه، فهو قريبٌ إذا
دُعِيَ، سميعٌ إذا نُودِيَ، مجيبٌ إذا سُئِلَ، فاضرعُ واخضعُ واخشعُ، وردِّدِ اسمه الطيبَ المبارك
على لسانِكَ توحيداً وثناءً ومدحاً ودعاءً وسؤالاً واستغفاراً، وسوف تجدُ - بحولِهِ وقوتهِ -
السعادةَ والأمنَ والسرورَ والنورَ والحبورَ ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾.

فصبرٌ جميلٌ

التحلِّي بالصبرِ من شيمِ الأفاضِلِ الذين يتلقون المكاره برحابةِ صَدْرٍ وبقوةِ إرادةٍ، ومناعةِ أبيَّة. وإن لم أصبرُ أنا وأنت فماذا نصنعُ؟! هل عندك حلٌّ لنا غيرُ الصبرِ؟ هل تعلم لنا زاداً غيرَهُ؟ واصبرُ وما صبرُك إلا بالله، اصبرُ صَبْرَ واثقٍ بالفرجِ، عالم بحُسنِ المصيرِ، طالبٍ للأجرِ، راغبٍ في تفكيرِ السيئاتِ، اصبرُ مهما ادلهمتِ الخطوبُ، وأظلمتِ أمامك الدروبُ، فإنَّ النصرَ مع الصَّبرِ، وأنَّ الفرَجَ مع الكَرْبِ، وإن مع العُسرِ يُسرًا.

ارضَ بما قسمَ اللهُ لك تكنُ أغنى الناسِ

عليك أن تقنعَ بما قَسِمَ لك من جسمٍ ومالٍ وولدٍ وسكنٍ وموهبةٍ، وهذا منطقُ القرآن ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ إِنَّ غَالِبَ عِلْمَاءِ السَّلَفِ وَأَكْثَرَ الْجِيلِ الْأَوَّلِ كَانُوا فَقَرَاءَ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ أُعْطِيَاتٌ وَلَا مَسَاكِنُ بَهِيَّةٌ، وَلَا مَرَاكِبُ، وَلَا حَشَمٌ، وَمَعَ ذَلِكَ أَثْرُوا الْحَيَاةَ وَأَسْعَدُوا أَنْفُسَهُم وَالْإِنْسَانِيَةَ، لِأَنَّهُمْ وَجَّهُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ خَيْرٍ فِي سَبِيلِهِ الصَّحِيحِ، فَبُورِكَ لَهُمْ فِي أَعْمَارِهِمْ وَأَوْقَاتِهِمْ وَمَوَاهِبِهِمْ، وَيُقَابِلُ هَذَا الصَّنْفُ الْمُبَارَكُ مَلَأُ أُعْطُوا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالنِّعَمِ، فَكَانَتْ سَبَبَ شَقَائِهِمْ وَتَعَاسَتِهِمْ، لِأَنَّهُمْ انْحَرَفُوا عَنِ الْفِطْرَةِ السُّوْيَةِ وَالْمَنْهَجِ الْحَقِّ وَهَذَا بَرَهَانٌ سَاطِعٌ عَلَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَيْسَتْ كُلُّ شَيْءٍ، انْظُرْ إِلَى مَنْ حَمَلَ شَهَادَاتٍ عَالَمِيَّةً لَكِنَّهُ نَكَرَةٌ مِنَ النِّكَرَاتِ فِي عَطَائِهِ وَفَهْمِهِ وَأَثَرِهِ، بَيْنَمَا آخَرُونَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ مَحْدُودٌ، وَقَدْ جَعَلُوا مِنْهُ نَهْرًا دَافِقًا بِالنِّعَمِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْعِمَارِ. إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ السَّعَادَةَ فَارْضَ بِصُورَتِكَ الَّتِي رَكَّبَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَارْضَ بِوَضْعِكَ الْأَسْرِيِّ، وَصَوْتِكَ، وَمَسْتَوَى فَهْمِكَ، وَدَخْلِكَ، بَلْ إِنْ بَعْضَ الْمُرَبِّينَ الزَّهَادِ يَذْهَبُونَ إِلَى أْبَعْدٍ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَكَ: اَرْضَ بِأَقْلٍ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ وَدُونَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ. هَاكَ قَائِمَةٌ رَائِعَةٌ مَلِيَّةٌ بِاللَّامِعِينَ الَّذِينَ بَخَسُوا حُظُوظَهُمُ الدُّنْيَوِيَّةَ: عَطَاءُ بِنِ رِبَاحِ عَالَمِ الدُّنْيَا فِي عَهْدِهِ، مَوْلَى

أسودُ أظسُ أشلُّ مفلفلُ الشعرِ. الأحنفُ بنُ قيس، حليمُ العربِ قاطبةً، نحيفُ الجسمِ، أهدبُ الظهرِ، أحنى الساقين، ضعيفُ البنية. الأعمشُ محدثُ الدنيا، من الموالى، ضعيفُ البصرِ، فقيرُ ذاتِ اليدِ، ممزقُ الثيابِ، رثُ الهيئةِ والمنزلِ. بل الأنبياءُ الكرامُ صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم، كلُّ منهم رعى الغنمَ، وكان داودُ حدَّاداً، وزكريا نجاراً، وإدريس خياطاً، وهم صفوةُ الناسِ وخيرُ البشرِ. إذاً فقيمَتك مواهبك، وعملك الصالحُ، ونفعك، وخلقك، فلا تأس على ما فات من جمالٍ أو مالٍ أو عيالٍ، وارض بقسمةِ الله ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

دع القلق

لا تحزن، فإنَّ ربك يقول: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ وهذا عامٌ لكلِّ من حملَ الحقَّ وأبصرَ النورَ، وسلكَ الهدى. ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إذاً فهناك حقٌّ يشرحُ الصدورَ، وباطلٌ يقسيها. ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فهذا الدينُ غايةٌ لا يصلُ إليها إلا المسدَّد. ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يقولها كلُّ من يتيقن رعايةِ الله، وولايته ولطفه ونصره. ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ كفايته تكفيك، وولايته تحميك. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وكلُّ من سلك هذه الجادة حصل على هذا الفوز. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ وما سواه فميتٌ غيرُ حيٍّ، زائلٌ غيرُ باقٍ، ذليلٌ وليس بعزير. ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ إنَّ اللهَ معَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ فهذه معيته الخاصةُ لأوليائه بالحفظِ والرعايةِ والتأييدِ والولايةِ، بحسبِ تقواهم وجهادهم. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ علواً في العبوديةِ والمكانةِ. ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ

يُؤَلِّقُكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ ﴿١٠٠﴾. ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾. وهذا عهدٌ لن يُخلفَ، ووعدٌ لن يتأخَّرَ. ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴿١٠١﴾. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. لا تحزنْ وقدَّرَ أنك لا تعيشُ إلا يوماً واحداً فَحَسْبُ، فلماذا تحزنُ في هذا اليوم، وتغضبُ وتثورُ؟! في الأثر: " إذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساءَ، وإذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصباحَ ". والمعنى: أن تعيشَ في حدودِ يومِك فَحَسْبُ، فلا تذكرِ الماضي، ولا تقلقْ من المستقبلِ. إنَّ الاشتغالَ بالماضي، وتذكُّرِ الماضي، واجترارِ المصائبِ التي حدثتْ ومضتْ، والكوارثِ التي انتهتْ، إنما هو ضَرْبٌ من الحُمقِ والجنونِ. يقول المثلُ الصينيُّ: لا تعبرْ جِسْراً حتى تأتيه. ومعنى ذلك: لا تستعجلِ الحوادثَ وهمومها وغمومها حتى تعيشها وتدرِكها. يقول أحدُ السلفِ: يا ابن آدم، إنما أنت ثلاثة أيامٍ: أمسكٌ وقد ولى، وغدكٌ ولم يأتِ، ويومك فاتق الله فيه. كيف يعيشُ من يحملُ همومَ الماضي واليومِ والمستقبلِ؟! كيف يرتاحُ من يتذكرُ ما صار وما جرى؟! فيعيدُه على ذاكرته، ويتألمُ له، وألمُه لا ينفعه!. ومعنى: " إذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساءَ، وإذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصباحَ " أي: أن تكونَ قصيرَ الأملِ، تنتظرُ الأجلَ، وتُحسِنُ العَمَلَ، فلا تطمحُ بهمومك لغيرِ هذا اليومِ الذي تعيشُ فيه، فتركزَ جهودك عليه، وترتّبَ أعمالك، وتصبَّ اهتمامك فيه، محسِّناً خُلقك مهتماً بصحتك، مصلحاً أخلاقك مع الآخرين.

أكثر من الاستغفارِ

﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾. فأكثر من الاستغفارِ، لترى الفرحَ وراحةَ البالِ،

والرزق الحلال، والذرية الصالحة، والغيث الغزير. ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾. وفي الحديث: " من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً ". وعليك بسيد الاستغفار، الحديث الذي في البخاري: " اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

اعفُ عمّن أساء إليك

ثمّن القصاص الباهظ، وهو الذي يدفعه المنتقم من الناس، الحاقداً عليهم: يدفعه من قلبه، ومن لحمه ودمه، من أعصابه ومن راحته، وسعادته وسروره، إذا أراد أن يتشفى، أو غضب عليهم أو حقد. إنه الخاسر بلا شك. وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بدواء ذلك وعلاجه، فقال: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾. وقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. وقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

لا تحزن ممّا يُتَوَقَّع

وُجدَ في التوراة مكتوباً: أكثر ما يُخاف لا يكون! ومعناه: إن كثيراً مما يتخوفه الناس لا يقع، فإن الأوهام في الأذهان، أكثر من الحوادث في الأعيان. إذا جاءك حدث، وسمعت بمصيبة، فتمهل وتأن ولا تحزن، فإن كثيراً من الأخبار والتوقعات لا صحة لها، إذا كان هناك صارفٌ للقدر فيبحث عنه، وإذا لم يكن فأين يكون؟! ﴿أَفَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا. ﴿

وَقْفَةٌ

لا تحزن: فَإِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْكَ، والملائكةُ تستغفِرُ لك، والمؤمنون يشركونك في دعائهم كُلِّ صلاةٍ، والنبِيُّ يشفعُ، والقرآنُ يعدُّك وعداً حسناً، وفوق هذا رحمةُ أرحم الراحمين. لا تحزن: فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أضعافٍ كثيرةٍ، والسيئةُ بمثلها إلا أن يعفوَ ربُّك ويتجاوز، فكم من كرمٍ ما سُمع مثله! ومن جودٍ لا يقاربه جودٌ! لا تحزن: فأنت من روادِ التوحيدِ وحَمَلَةِ المِلَّةِ وأهلِ القبلةِ، وعندك أصلُ حبِّ الله وحبِّ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتندمُ إذا أذنبت، وتفرحُ إذا أحسنت، فعندك خيرٌ وأنت لا تدري. لا تحزن: فأنت على خيرٍ في ضرائك وسرائك، وغناك وفقرك، وشدَّتِكَ ورخائك، "عجباً لأمرِ المؤمنِ، إنَّ أمره كلُّه له خيرٌ، وليس ذلك إلا للمؤمنِ، نَ أصابته سراءٌ فشكرَ كان خيراً له، وإنَّ أصابته ضراءٌ فصبِرَ فكان خيراً له". لا تحزن لأنَّ هناك مشهداً آخرَ وحياةً أخرى، ويوماً ثانياً يجمع اللهُ فيه الأولين والآخرين، وهذا يجعلك تطمئنُّ لعدلِ اللهِ، فَمَنْ سَلِبَ مَالَهُ هُنَا وَجَدَهُ هُنَاكَ، وَمَنْ ظَلَمَ هُنَا أَنْصَفَ هُنَاكَ، وَمَنْ جَارَ هُنَا عَوِّقَ هُنَاكَ، ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

العفو العفو

فإنك إن عفوت وصفحْتَ نلت عزَّ الدنيا وشرفَ الآخرة: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. قال أحدهم لسالم بن عبد الله بن عمر العالمِ التابعيِّ: إنك رجلٌ سوء! فقال: ما عرفني إلا أنت. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. وفي الحديث: " لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب ". وفيه: " الغضبُ جمرَةٌ من النار ". إنَّ الشيطان يصرعُ العبدَ عند ثلاثٍ: الغضبِ، والشَّهوةِ، والغفلةِ.

لا تَحْزَنَ إِذَا كَانَ مَعَكَ كِسْرَةٌ خُبْزٍ وَغُرْفَةٌ مَاءٍ وَثَوْبٌ يَسْتُرُكَ

يقولُ جوناثان سويفت: «إنَّ أفضلَ الأطباءِ في العالمِ هم: الدكتورُ ريجيم، والدكتورُ هادي، والدكتورُ مرح، وإنَّ تقليلَ الطعامِ مع الهدوءِ والسرورِ علاجٌ ناجعٌ لا يُسألُ عنه».

وَقَفَةٌ

"إنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخطَ فله السخطُ". "أشدُّ الناسِ بلاءَ الأنبياءِ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ يُبتلى الرجلُ على قدرِ دينه، فإن كان في دينه صلابَةٌ اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقةٌ ابتلي على قدرِ دينه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ، حتى يتركه يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ". "عجبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمرَهُ كلُّه خيرٌ!! وليس ذاكِ لأحدٍ إلا للمؤمنِ، إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيرًا له". "واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبُ اللهُ لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك". "يُبتلى الصالحون الأمثلُ فالأمثلُ". "المؤمنُ كالخامةٍ من الزرعِ تُقيئها الریحُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً".

مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ

١. العملُ الصالحُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾.

٢. الزوجةُ الصالحةُ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

٣. البيتُ الواسعُ: وفي الحديثِ: "اللهمَّ وسِّعْ لي في داري".

٤. الكسبُ الطيبُ: وفي الحديثِ: "إنَّ اللهَ طيبٌ لا يقبلُ إلا طيبًا".

٥. حُسْنُ الْخُلُقِ وَالتَّوَدُّدُ لِلنَّاسِ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾.

٦. السَّلامَةُ مِنَ الدَّيْنِ، وَمِنَ الْإِسْرَافِ فِي النِّفْقَةِ: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾. ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾.

٧. قَلْبٌ شَاكِرٌ، وَلِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَجَسْمٌ صَابِرٌ. وَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ عَنِ النِّعَمِ وَالصَّبْرِ عِنْدَ النِّقَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَقْفَةٌ

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾. "واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا". "أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء". ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾. ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾. ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾.

حَسَنُ خُلُقِكَ

حُسْنُ الْخُلُقِ يُمْنٌ وَسَعَادَةٌ، وَسُوءُ الْخُلُقِ سُؤْمٌ وَشِقَاءٌ. "إن المرء ليبلى بحسن خلقه درجة الصائم القائم". "ألا أنبئكم بأحبكم وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟! أحاسنكم أخلاقاً". ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾. وتقول أم المؤمنين عائشة بنت الصديق - رضي الله عنهما - في وصفها المعصوم عليه صلاة ربي وسلامه: "كان خلقه القرآن". إن سعة الخلق

وَبَسْطَةَ الْخَاطِرِ: نَعِيمٌ عَاجِلٌ وَسُرُورٌ حَاضِرٌ لِمَنْ أَرَادَ بِهِ اللَّهُ خَيْرًا، وَإِنَّ سُرْعَةَ الْإِنْفِعَالِ وَالْحِدَّةِ
وِثْرَةَ الْغَضَبِ: نَكَدٌ مُسْتَمِرٌّ وَعَذَابٌ مُقِيمٌ.

عَوَاقِبُ الْمَعَاصِي

١. حِجَابٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.
٢. يُوحِشُ الْمَخْلُوقَ مِنَ الْخَالِقِ: إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ.
٣. كَابَةٌ دَائِمَةٌ: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾.
٤. خَوْفٌ فِي الْقَلْبِ وَاضْطِرَابٌ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾.
٥. نَكَدٌ فِي الْمَعِيشَةِ: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.
٦. قَسْوَةٌ فِي الْقَلْبِ وَظُلْمَةٌ: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾.
٧. سَوَادٌ فِي الْوَجْهِ وَعَبُوسٌ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾.
٨. بَغْضٌ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ: " أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ "
٩. ضَيْقٌ فِي الرِّزْقِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.
١٠. غَضَبُ الرَّحْمَنِ، وَنَقْصُ الْإِيمَانِ، وَحُلُولُ الْمَصَائِبِ وَالْأَحْزَانِ: ﴿فَبَاؤُوا بِنِقْمَتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ عَلَى غَضَبٍ﴾. ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

سرُّ الهداية: ولن يهتدي للسعادة ولن يجدها ولن ينعم بها، إلا من اتبع الصراط المستقيم الذي تركنا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾. فسعادة من لزم الصراط المستقيم أنه مطمئنٌ لحسنِ العاقبة، واثقٌ من طيبِ المصير، ساكنٌ إلى موعودِ رَبِّهِ، راضٍ بقضاءِ مولاهُ، مخبئٌ في سلوكِهِ هذا السبيلُ، يعلمُ أنَّ له هادياً يهديهِ على هذا الصراطِ، وهو معصومٌ لا ينطقُ عن الهوى، ولا يتبعُ من غوى، قَوْلُهُ حَجَّةٌ عَلَى الْوَرَى، محفوظٌ من نزغاتِ الشيطانِ، وعثراتِ القِرانِ، وسقطاتِ الإنسانِ: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾. وهذا العبدُ يجدُ السعادة في سلوكِهِ هذا الصراطِ؛ لأنه يعلمُ أنَّ له إلهًا، وأمامَهُ أسوةً، وبيده كتابًا، وفي قلبه نورًا، وفي خلدِهِ، واعظًا، وهو ذاهبٌ إلى نعيمٍ، وعاملٌ في طاعةٍ، وساعٍ إلى خيرٍ: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

عشرُ زِهْرَاتٍ يَقْطُفُهَا مَنْ أَرَادَ الْحَيَاةَ الطَّيْبَةَ

١. جلسةٌ في السَّحَرِ للاستغفارِ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾.

٢. وخلوةٌ للتفكيرِ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣. ومجالسةُ الصالحينِ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾.

٤. والذِّكْرُ: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

٥. وركعتانِ بخشوعٍ: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

٦. وتلاوةٌ بتدبُّرٍ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾.

٧. وصيامُ يومٍ شديدِ الحرِّ: " يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي " .

٨. وصدقةٌ في خفاءٍ: " حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه " .

٩. وكشفُ كربٍ عن مسلمٍ: " من فرّج عن مسلمٍ كرباً من كُربِ الدنيا فرّج اللهُ عنه كرباً من كُربِ يومِ القيامةِ " .

١٠. وزهدٌ في الفانية: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ .

تلك عشرةٌ كاملةٌ.

مفتاحُ السَّعادةِ

كلمةٌ وميراثُ المَلَّةِ عبارةٌ، ورايةُ الفلاحِ جملةٌ، فالكلمةُ والعبارةُ والجملةُ هي: لا إله إلا اللهُ.
محمدٌ رسولُ اللهُ. سعادةٌ من نطقها في الأرضِ: أن يُقالَ لهُ في السماءِ صدقتَ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ . وسعادةٌ من عملِها: أن ينجو من الدمارِ والشَّنارِ والعارِ والنارِ: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ . وسعادةٌ من دعا إليها: أن يُعانَ ويُنصرَ ويُشكرَ: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ . وسعادةٌ من أحبَّها: أن يُرفعَ ويُكرمَ ويُعزَّزَ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ . هتف بها بلالُ الرقيقُ فأصبحَ حرّاً: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ . وتلعثم في نطقها أبو لهبٍ الهاشميُّ، فمات عبداً ذليلاً حقيراً: ﴿وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ . إنها الإكسيرُ الذي يحولُ الركامَ البشريَّ الفاني إلى قممٍ لإيمانيةٍ ربانيةٍ طاهرةٍ: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ .

الاستغفارُ يفتحُ الأقفالَ

يقول ابنُ تيمية: إنَّ المسألة لتعلقُ عليّ، فأستغفرُ الله ألفَ مرةٍ أو أكثرَ أو أقلَّ، فيفتحُها اللهُ عليّ. ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾. إنَّ من أسبابِ راحةِ البالِ، استغفارُ ذي الجلالِ. رَبِّ ضارةٍ نافعةً، وكلُّ قضاءٍ خيرٌ حتى المعصيةُ بشرطِها. فقد ورد في المسندِ: "لا يقضي اللهُ للعبدِ قضاءً إلا كان خيراً له". قيل لابن تيمية: حتى المعصية؟ قال: نعم، إذا كان معها التوبةُ والندمُ، والاستغفارُ والانكسارُ. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾. عجتُ لعظماءِ عرفهمُ التاريخُ، كانوا يستقبلون المصائبَ كأنَّها قطراتُ الغيثِ، أو هفيفُ النسيمِ، وعلى رأسِ الجميعِ سيدُ الخلقِ محمدٌ، وهو في الغارِ، يقولُ لصاحبه: ﴿لَا تَخْزَنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. وفي طريقِ الهجرةِ، وهو مطارِدُ مشرِدُ يبشُرُ سراقَةَ بأنه يُسورُ سوارِي كسرى! وفي بدرٍ يثبُ في الدرعِ وهو يقولُ: ﴿سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾. وفي أحدٍ - بعد القتلِ والجراحِ - يقولُ للصحابَةِ: "صُفُّوا خلفي، لأُثني على ربي". إنها هممُ نبويَّةٍ تنطحُ الثريا، وعزمُ نبويٍّ يهزُّ الجبالَ.

لا تتعلّقُ بغيرِ اللهِ

إذا كان المحيي والمميتُ والرزاقُ هو اللهُ، فلماذا الخوفُ من الناسِ والقلقُ منهم؟! ورأيتُ أنَّ أكثرَ ما يجلبُ الهمومَ والغمومَ التعلُّقُ بالناسِ، وطلبُ رضاهمُ، والتقرُّبُ منهمُ، والحرصُ على ثنائهمُ، والتضرُّرُ بدمهمُ، وهذا من ضعفِ التوحيدِ.

لا تركزن إلى المرجفين

الوعود الكاذبة، والإرهاصات الخاطئة المغلوطة، التي يخاف منها أكثر الناس، إنما هي أوهام، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. والقلق والأرق وقرحة المعدة: ثمرات اليأس والشعور بالإحباط والإخفاق.

لا يجدي الحرص

قال: " لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ". فلم الجزع؟! ولم الهلع؟! ولم الحرص إذن.

حسبنا الله ونعم الوكيل

«حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»: قالها إبراهيم لما أُلقي في النار، فصارت برداً وسلاماً. وقال محمد في أحد، فنصره الله. إنها العناية الربانية إذا تلمحها العبد، ونظر أن هناك رباً قديراً ناصراً ولياً راحماً، حينها يركن العبد إليه.

مكونات السعادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من بات آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ". والمعنى: إذا حصل على غذاء، وعلى مأوى وكان آمناً، فقد حصل على أحسن السعادات، وأفضل الخيرات، وهذا يحصل عليه كثير من الناس، لكنهم لا يذكرونه، ولا ينظرون إليه ولا يلمسونه. يقول سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾. فأية نعمة تمت على الرسول صلى الله عليه وسلم؟ أهى المادة؟ أهو الغذاء؟ أهى القصور والدور والذهب والفضة، ولم يملك من ذلك شيئاً؟ إن هذا الرسول

العظيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنَامُ فِي غَرَفَةٍ مِنْ طِينٍ، سَقَفُهَا مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَيُرْبَطُ حَجْرَيْنِ عَلَى بَطْنِهِ، وَيَتَوَسَّدُ عَلَى مَخَدَةٍ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ تَوَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، وَرَهْنُ دِرْعُهُ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، وَيَدُورُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَجِدُ رَدِيءَ التَّمْرِ لِيَأْكُلَهُ وَيَشْبَعُ مِنْهُ. ﴿وَلَا حِرَّةَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأَوْلَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.

لا تغضب

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. أوصى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد أصحابه فقال: " لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب ". وغضب رجلٌ عنده فأمره أن يستعذ بالله من الشيطان الرجيم. وقال تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾. إنَّ ممَّا يورث الكدَرَ والهمَّ والحزن الحِدَّةُ والغضبُ، وله أدواءٌ عند المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. منها: مجاهدةُ الطبعِ على تركِ الغضبِ، ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ﴾، ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾. ومنها: الوضوءُ، فَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ مِنَ النَّارِ، وَالنَّارُ يَطْفئُهَا الْمَاءُ، " الطهورُ شطرُ الإيمانِ "، " الوضوءُ سلاحُ المؤمنِ ". ومنها: إذا كان واقفًا أن يجلس، وإذا كان جالسًا أن يضطجع. منها: أن يسكت فلا يتكلم إذا غضب. ومنها أيضًا: أن يتذكر ثواب الكاظمين لغيظهم، والعافين عن الناسِ المسامحين.

وَقْفَةٌ

يقولُ ابنُ القيم: " أجمع العارفون بالله على أن الخِذْلانَ: أن يكلِّك اللهُ على نفسك، ويُخَلِّي بينك وبينها. والتوفيقُ أن لا يكلِّك اللهُ إلى نفسك. فالعبيدُ متقلِّبون بين توفيقه وخذلانه، بل العبدُ في الساعةِ الواحدةِ ينالُ نصيبه من هذا وهذا، فيطيعه ويُرضيه، ويذكره ويشكره بتوفيقه له،

ثم يعصيه ويخالفه، ويُسخطه ويغفل عنه بخذلانه له، فهو دائرٌ بين توفيقه وخذلانه. فمتى شهد العبدُ هذا المشهدَ وأعطاهُ حقه، علمَ شِدَّةَ ضرورتهِ وحاجتهِ إلى التوفيقِ في كلِّ نفسٍ وكلِّ لحظةٍ وطرفَةٍ عَيْنٍ، وأنَّ إيمانه وتوحيده بيدهِ تعالى، لو تخلَّى عنه طرفة عينٍ لثَلَّ عَرشُ توحيدِهِ، ولخَرَّتْ سماءُ إيمانهِ على الأرضِ، وأنَّ الممسك له: هو منْ يمسك السماءَ أنْ تقعَ على الأرضِ إلا بإذنه".

القرآن.. الكتابُ المباركُ

من أسبابِ السعادةِ وانسراحِ الصدرِ قراءةُ كتابِ الله بتدبُّرٍ وتمعُّنٍ وتأمُّلٍ، فإنَّ اللهَ وَصَفَ كتابه بأنه هدىً ونورٌ وشفاءٌ لما في الصدورِ، ووصفه بأنه رحمةٌ، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾. قال بعضُ أهلِ العِلْمِ: مباركٌ في تلاوتهِ، والعملِ بهِ، وتحكيمِهِ والاستنباطِ منه. وقال أحدُ الصالحين: أحسستُ بغمٍّ لا يعلمُهُ إلا اللهُ، وبهمٍّ مقيمٍ، فأخذتُ المصحفَ وبقيتُ أتلو، فزال عني - والله - فجأةً هذا الغمُّ، وأبدلني اللهُ سروراً وحبوراً مكانَ ذلك الكدرِ. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾، ﴿وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

عبوديةُ الإذعانِ والتسليمِ

من لوازمِ الإيمانِ أنْ ترضى بالقدرِ خيرَه وشرِّه، ﴿وَلَنْبَلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾. إنَّ الأقدارَ ليستُ على رغبتنا دائماً وإنما

بقصورتنا لا نعرف الاختيار في القضاء والقدر، فلسنا في مقام الاقتراح، ولكننا في مقام العبودية والتسليم. يُبتلى العبد على قدر إيمانه، "أوعك كما يُوعك رجالان منكم"، "أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثمَّ الصالحون"، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، "من يرد الله به خيراً يصب منه"، ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلِّغُكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

عليه توكلتُ

من أعظم ما يُضفي السعادة على العبد ركونه إلى ربه، وتوكله عليه، واكتفاؤه بولايته ورعايته وحراسته، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أجمعوا على ثلاثة

طالعتُ الكتب التي تعتنى بمسألة القلق والاضطراب، سواءً كانت لسلفنا من محدثين وأدباء ومربِّين ومؤرِّخين أو لغيرهم مع النشرات والكتب الشرقية والغربية والمترجمة، والدوريات والمجلات، فوجدتُ الجميع مجمعين على ثلاثة أسسٍ لمن أراد الشفاء والعافية وانسراح الصدر، وهي:

الأول: الاتصال بالله عزَّ وجلَّ، وعبوديته، وطاعته واللجوء إليه، وهي مسألة الإيمان الكبرى، ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾.

الثاني: إغلاق ملفِّ الماضي، بمآسيه ودموعه، وأحزانه ومصائبه، وآلامه وهمومه، والبدء بحياة جديدة مع يومٍ جديدٍ.

الثالث: ترك المستقبل الغائب، وعدم الاشتغال به والانهماك فيه، وترك التوقعات والانتظارات والتوجُّسات، وإنما العيش في حدود اليوم فحسب.

قال علي رضي الله عنه: إياكم وطول الأمل، فإنه يُنسي. ﴿وَضُنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ﴾، إياك وتصديق الأراجيف والشائعات، فإن الله قال عن أعدائه: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾. وعرفت أناساً من سنوات عديدة، وهم ينتظرون أموراً ومصائب وحوادث وكوارث لم تقع، ولا يزالون يُخوفون أنفسهم وغيرهم منها، فسبحان الله ما أنكد عيشتهم !!

فِطْرَةُ اللَّهِ

إذا اشتدَّ الظلامُ وزمجر الرَّعدُ وقصفتِ الرياحُ، استيقظتِ الفطرةُ. ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. غير أن المسلم يدعو ربه في الشدة والرخاء، والسراء والضراء: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. إن الكثير يسأل الله وقت حاجته وهو متضرع إلى ربه، فإذا تحقق مطلبه أعرض ونأى بجانبه ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾. إن الذين يلتجئون إلى الله في وقت الصنائع ما هم إلا تلاميذُ لذك الضال المنحرف فرعون، الذي قيل له بعد فوات الأوان: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

لا تحزن على تأخر الرزق، فإنه بأجل مسمى

الذي يستعجل نصيبه من الرزق، ويبادر الزمن، ويقلق من تأخر رغبته، كالذي يسابق الإمام في الصلاة، ويعلم أنه لا يسلم إلا بعد الإمام! فالأمور والأرزاق مقدره، فرغ منها قبل خلق الخليقة، بخمسين ألف سنة، ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ

لِفَضْلِهِ ﴿١﴾. يقول عمرُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَلَدِ الْفَاجِرِ، وَعَجْزِ الثَّقَةِ». وهذه كلمةٌ عظيمةٌ صادقةٌ. فلقد طُفْتُ بفكري في التاريخ، فوجدتُ كثيراً من أعداءِ الله عزَّ وجلَّ، عندهم من الدَّابِ والجلدِ والمثابرةِ والطُّمُوحِ: الْعَجَبُ الْعُجَابُ. ووجدتُ كثيراً من المسلمين عندهم من الكسلِ والفتورِ والتَّوَاكُلِ والتَّخَاذُلِ: ما اللهُ به عليهم، فأدرکتُ عمقَ كلمةِ عُمَرَ - رضي اللهُ عنه -.

من دعائم السرور والارتياح

أَنْ تَشْعُرَ أَنَّ هُنَاكَ رَبًّا يَرْحَمُ وَيَغْفِرُ وَيَتُوبُ عَلَيَّ مِنْ تَابٍ، فَأَبْشِرْ بِرَحْمَةِ رَبِّكَ الَّتِي وَسَعَتْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وما أعظم لطفه سبحانه وتعالى، وفي حديثٍ صحيحٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ فِي التَّشَهُدِ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمَحْمَدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. قَالَ: "لَقَدْ حَجَرْتَ وَأَسَعَا". أَي: ضَيِّقْتَ وَأَسَعَا، إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، "اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا". أَحْرَقَ رَجُلٌ نَفْسَهُ بِالنَّارِ فَرَارًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَجَمَعَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَالَ لَهُ: "يَا عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، خِفْتُكَ، وَخَشِيتُ ذُنُوبِي. فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ". حَدِيثٌ صَحِيحٌ. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾. حَاسَبَ اللَّهُ رَجُلًا مُسْرِفًا عَلَيَّ نَفْسِهِ مُوَحِّدًا، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ حَسَنَةً، لَكِنَّهُ كَانَ يُتَاجَرُ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ اللَّهُ: نَحْنُ أَوْلَىٰ بِالكَرَمِ مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ. فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ. ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾، ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. عِنْدَ مُسْلِمٍ: أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِالنَّاسِ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ. قَالَ: "أَصْلَيْتُ مَعَنَا؟". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "أَذْهَبُ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ". ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. هُنَاكَ لُطْفٌ خَفِيٌّ يَكْتَنِفُ الْعَبْدَ، مِنْ أَمَامِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ،

وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحت قدميه، صاحب اللطف الخفي هو الله رب العالمين، انطبقت عليهم الصخرة في الغار، وأنجى إبراهيم من النار، وأنجى موسى من الغرق، ونوحًا من الطوفان، ويوسف من الجب وأيوب من المرض.

الأفعال الجميلة طريق السعادة

يقول ابن عباسٍ متحدثًا بنعمة الله عزَّ وجلَّ: في ثلاث خصالٍ: ما نزل غيثٌ بأرضٍ، إلاَّ حمدتُ الله وسُرتُ بذلك، وليس لي فيها شاةٌ ولا بعيرٌ. ولا سمعتُ بقاضٍ عادلٍ، إلاَّ دعوتُ الله له، وليس عنده لي قضيةٌ. ولا عرفتُ آيةً من كتابِ الله، إلاَّ وددتُ أنَّ الناسَ يعرفون منها ما أعرفُ. إنه حُبُّ الخيرِ للناسِ، وإشاعةُ الفضيلةِ بينهم وسلامةُ الصدرِ لهم، والنصحُ كلُّ النصحِ للخليفة.

اكتسبِ الناسَ

من سعادةِ العبدِ قدرته على كسبِ الناسِ، واستجلابِ محبتهم وعطفهم، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾، قال المفسرون: الثناء الحسن. وقال سبحانه وتعالى عن موسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾. قال بعضهم: ما رآك أحدٌ إلاَّ أحبَّك. وفي الحديث الصحيح: " أنتم شهداءُ الله في الأرض ". وألسنةُ الخلقِ أقلامُ الحقِّ. وصحَّ: " أن جبريل يُنادي في أهلِ السماءِ: إنَّ الله يحبُّ فلانًا فأحبُّوه، فيحبهُ أهلُ السماءِ، ويوضعُ له القبولُ في الأرضِ ". ومن أسبابِ الودِّ: بسطةُ الوجهِ ولينُ الكلامِ وسعةُ الخلقِ. إنَّ من العواملِ القويةِ في جلبِ أرواحِ الناسِ إليك: الرفقُ؛ ولذلك يقولُ: " ما كان الرفقُ في شيءٍ إلاَّ زانه، وما نزع من شيءٍ إلاَّ شانهُ ". ويقول: " من يُحرم الرفقَ، يُحرم الخيرَ كلَّهُ ".

تهجد مع المتهجدين

ومما يسعد النَّفس ويشرخ الصدر: قيام الليل. وقد ذُكر في الصحيح: أنَّ العبد إذا قام من الليل، وذكر الله، ثم توضأ وصلى، أصبح نشيطاً طيب النفس. ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾. وقيام الليل يُذهب الداء عن الجسد، وهو حديث صحيح عند أبي داود: " يا عبدالله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل "، " نعم الرجل عبدالله لو كان يقوم من الليل ". لا تأسف على الأشياء الفانية، كل شيء في هذه الحياة فانٍ إلا وجهه سبحانه وتعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. إنَّ الإنسان الذي يأسف على دنياه، كالطفل الذي يبكي على فقد لعبته.

الحُبُّ الحَقِيقِيُّ

كُنْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَحْبَائِهِ لِتَسْعَدَ، إِنَّ مِنْ أَسْعَدِ السَّعْدَاءِ ذَاكَ الَّذِي جَعَلَ هَدْفَهُ الْأَسْمَى وَغَايَتَهُ الْمَنْشُودَةَ حُبَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا أَلْطَفَ قَوْلُهُ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. قال بعضهم: ليس العجب من قوله: يحبونه، ولكن العجب من قوله يحبهم؛ فهو الذي خلقهم ورزقهم وتولاهم وأعطاهم، ثم يحبهم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. وانظر إلى مكرمة علي بن أبي طالب، وهي تاج على رأسه: رجل يحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. إنَّ رجلاً من الصحابة أحبَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فكان يردُّها في كلِّ ركعة، ويتولَّه بذكرها، ويعيدها على لسانه، ويشجي بها فؤاده، ويحرِّكُ بها وجدانه، قال له: " حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ ".

شريعة سهلة ميسرة

إنَّ مما يُثَلِّجُ صدرَ المسلمِ ظاهرةُ اليُسْرِ والسَّماحةِ في الشريعةِ الإسلاميَّةِ ﴿طه﴾ * ما أنزلنا عليك القرآنَ لِتَشْقَى ﴿﴾، ﴿وَيْسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ * ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. " رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ "، " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ "، " سَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا "، " بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ "، " خَيْرٌ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ ".

أسرار في الذنوب.. ولكن لا تذنّب!

ذكر بعض أهل العلم: أنَّ الذنوبَ كالختمِ على العبد، ومن أسرارها بعد التوبة: قضم ظهر العُجْب، وكثرة الاستغفار والتوبة والإنابة والتوجه والانكسار والندامة، ووقوع القضاء والقدر، والتسليم بعبودية مُقابلة القضاء والقدر. ومنها: تحقُّق أسماء الله الحسنى وصفاته العلى مثل: الرحيم والغفور والتَّوَّاب.

اطلب الرزق ولا تحرص

سبحان الخالق الرازق، أعطى الدودة رزقها في الطين، والسمكة في الماء، والطارئ في الهواء، والنملة في الظلماء، والحية بين الصخور الصماء. ذكر ابن الجوزي لطيفة من اللطائف: أنَّ حية عمياء كانت في رأس نخلة، فكان يأتيها عصفورٌ بلحمٍ في فمه، فإذا اقترب منها ورور وصر،

فتفتحُ فاهها، فيضعُ اللحمَ فيه، سُبْحانَ مَنْ سَخَّرَ هذا لِهذِهِ ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾. كانت مريمٌ عليها السلامُ يأتيها رزقُها في المحرابِ صباحَ مساءً، فقيل لها: ﴿ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾. لا تحزنُ فرزقك مضمونٌ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾. لتعلم البشريةُ أنَّ رازق الوالدِ، هو الذي لم يلدْ ولم يولد. ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ إنَّ صاحب الخزائنِ الكبرى جَلَّ في علاه قد تكفلَ بالرزقِ، فبِمِ القلقِ والزعيمِ بذلك اللهُ؟! ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾. ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾.

شريعةٌ سَمِحةٌ

مِمَّا يُفَرِّحُ العبدَ المسلمَ، ما في الشريعةِ من الثوابِ الجزيلِ والعطاءِ الضخمِ، يتجلى ذلك في المكفَّراتِ العشرِ، كالتوحيدِ وما يكفِّرُه من الذنوبِ. والحسناتِ الماحيةِ، كالصلاةِ، والجمعةِ إلى الجمعةِ، والعمرةِ إلى العمرةِ، والحجِّ، والصومِ، ونحو ذلك من الأعمالِ الصالحةِ. وما هناك من مُضاعَفَةِ الأعمالِ الصالحةِ، كالحسنةِ بعشرِ أمثالِها إلى سبعمائةِ ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ. ومنها التوبةُ تُجِبُّ ما قبلها من الذنوبِ والخطايا. ومنها المصائبُ المكفِّرةُ فلا يصيبُ المؤمنَ من أذىٍ إلا كَفَّرَ اللهُ به من خطاياهُ. ومنها دعواتُ المسلمين له بظَهْرِ الغيبِ. ومنها ما يُصيبُه من الكربِ وقت الموتِ. ومنها شفاعَةُ المسلمين له وقت الصلاةِ عليه. ومنها شفاعَةُ سيِّد الخلقِ، ورحمةُ أرحمِ الراحمين تبارك وتعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾، ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾.

إياك وأربعاً

أربعٌ تُورثُ ضنكَ المعيشةِ وكَدَرَ الخاطرِ وضيقَ الصِّدرِ:

الأولى: التَّسَخُّطُ من قضاءِ اللهِ وقدرِهِ، وعدمُ الرِّضا بِهِ.

الثانية: الوقوعُ في المعاصي بلا توبةٍ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

الثالثة: الحقدُ على الناسِ، وحبُّ الانتقامِ منهم، وحسدُهم على ما آتاهمُ اللهُ من فضلهِ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، "لا راحةَ لحسودٍ".

الرابعة: الإعراضُ عن ذكرِ اللهِ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

اسكنْ إلى ربِّك

راحةُ العبدِ في سكونهِ إلى ربِّه سبحانه وتعالى. وقد ذكَّرَ اللهُ السكينةَ في مواطنٍ من كتابه عزَّ من قائلٍ، فقال: ﴿أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾، ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾. والسكينةُ هي ثباتُ القلبِ إلى الرِّبِّ، أو رسوخُ الجنانِ ثقةً بالرحمنِ، أو سُكُونُ الخاطرِ توكلًا على القادرِ. والسكينةُ هدوءٌ لواعجِ النفسِ وسكونُها، واستئناسُها ورُكُودُها وعدمُ تفلُّتها، وهي حالةٌ من الأمنِ، يحظى بها أهلُ الإيمانِ، تُنقذُهُم من مزالقِ الحيرةِ والاضطرابِ، ومهاوي الشكِّ والتَّسَخُّطِ، وهي بحسبِ ولايةِ العبدِ لربِّه، وذكرِهِ وشكرِهِ لمولاهُ، واستقامتِهِ على أمرِهِ، واتِّباعِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتمسُّكِهِ بهديِهِ، وحبِّهِ لخالفِهِ، وثقتِهِ في مالكِ أمرِهِ، والإعراضِ عمَّ سواه، وهجرِ ما عداهُ، لا يدعو إلا اللهَ، ولا يعبدُ إلا إياهُ ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

من فوائد المصائب

استخراج مكنون عبودية الدعاء، قال أحدُهم: سبحان من استخرج الدعاء بالبلاء. ومنها: كسرُ جماح النفسِ وغيِّها؛ لأنَّ الله يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَيْفَىٰ * أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَىٰ﴾. ومنها: عطفُ الناسِ وحبُّهم ودعاؤُهم للمصابِ، فإنَّ الناسَ يتضامنون ويتعاطفون مع من أُصيب ومن ابتلي. ومنها: صرفُ ما هو أعظمُ من تلك المصيبة، فإنها صغيرةٌ بالنسبة لمن هي أكبر منها، ثمَّ هي كفَّارةٌ للذنوبِ والخطايا، وأجرٌ عند الله ومثوبةٌ. فإذا عَلِمَ العبدُ أنَّ هذه ثمارُ المصيبةِ أنَسَ بها وارتاح، ولم ينزعجَ ويقنطُ ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أنصت لكلام الله

هدى أعصابك بالإنصاتِ إلى كتابِ ربِّك، تلاوةً مُمتعةً حسنةً مؤثِّرةً من كتابِ الله، تسمعُها من قارئٍ مجوِّدٍ حسنِ الصوتِ، تصلُّك على رضوانِ الله عزَّ وجلَّ، وتُضفي على نفسك السكينة، وعلى قلبك يقيناً وبرداً وسلاماً. كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبُّ أن يسمع القرآن من غيره، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتأثَّرُ إذا سمع القرآن من سواه، وكان يطلبُ من أصحابه أن يقرؤوا عليه، وقد أنزل عليه القرآن، فيستأنسُ ويخشعُ ويرتاح. إنَّ لك فيه أسوةً، أن يكون لك دقائق، أو وقتٌ من اليومِ أو الليلِ، تفتحُ فيه المذيع أو مُسجلاً، لتستمع إلى القارئِ الذي يعجبك، وهو يتلو كلام الله عزَّ وجلَّ. إنَّ ضجَّةَ الحياةِ وبلبلةِ الناسِ، وتشويش الآخرين، كفيلٌ بإزعاجك، وهدُّ قواك، وبتشتيتِ خاطرِكَ. وليس لك سكينَةٌ ولا طمأنينةٌ، إلا في كتابِ ربِّك وفي ذكرِ مولاك: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. يأمرُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن مسعودٍ، فيقرأ عليه من سورة النساءِ، فيبكي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تنهمر دموعه على خده، ويقول: "حسبك الآن". ويمرُّ بأبي موسى الأشعريِّ، وهو يقرأ في المسجد، فينصتُ

لَهُ، فيقولُ له في الصباحِ: "لو رأيتني البارحة وأنا أستمعُ لقراءتِكَ"، قال أبو موسى: لو أعلمُ يا رسولَ الله أنك تستمعُ لي، لحبَّرتُهُ لك تحبيراً. إنَّ التشويشَ الذي يعيشه الإنسانُ في الأربعِ والعشرين ساعةً كفيلاً أن يُفقدَه وعيَهُ، وأن يُقلقه، وأن يُصيبه بالإحباطِ، فإذا رَجَعَ وأنصتَ وسمَعَ وتدبَّرَ كلامَ المولى، بصوتِ حسنٍ من قارئٍ خاشعٍ، تاب إليه رُشدُه، وعادتْ إليه نفسه، وقرَّتْ بلبله، وسكنتْ لواعجُه.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

نَزَلَ هذا الكلامُ على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَحَقَّقَتْ فِيهِ هذهِ الكلمةُ، فكان سهلَ الخاطرِ، منشرحَ الصدرِ، متفائلاً، جياشَ الفؤادِ، حيَّ العاطفةِ، ميسراً في أمورِهِ، قريباً من القلوبِ، بسيطاً في عظمةِ، دانياً من الناسِ في هيبةِ، متبسماً في وقارِ، متحبباً في سموٍّ، مألوفاً للحاضرِ والبادي، جمَّ الخُلُقِ، طلقَ المُحيَّا، مشرقَ الطلعةِ، غزيرَ الحياءِ، يهشُّ للدُّعابةِ، وَيَبْشُ للِقادمِ، مسروراً بعطاءِ الله، جذلاً بالهباتِ الرَّبانيَّةِ، لا يعتريه اليأسُ، ولا يعرفُ الإحباطَ، ولا يخلدُ إلى التَّخْذِيلِ، ولا يعترفُ بالقنوطِ، ويُعجبهُ الفألُ الحسنُ، ويكرهُ التَّعَمُّقَ والتَّشَدُّقَ، والتَّفْيَهُقَ والتَّكَلُّفَ والتَّنَطُّعَ؛ لأنَّهُ صاحبُ رسالةٍ، وحاملُ مبدأ، وقدوةُ أُمَّةٍ، وأُسوةُ أجيالٍ، ومعلِّمُ شعوبٍ، وربُّ أسرةٍ، ورجُلُ مجتمعٍ، وكنزٌ مُثلٍ، ومجمَعُ فضائلٍ، وبحرٌ عطايا، ومشرقٌ نورٍ. إنه باختصارٍ: ميسرٌ لليسرى، وإنه بإيجازٍ ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أو بعبارةٍ أخرى: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وكفى !! ﴿شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ * وَدَاعِيَا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا *.

إذن فما هي السعادة؟!

"كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ"، "فطوبى للغرباء". ليس السعادةُ قصرَ عبدِ الملكِ بنِ مروان، ولا جيوشَ هارونِ الرشيدِ ولا دُورِ ابنِ الجصاصِ، ولا كنوزَ قارون، ولا في كتابِ الشفاءِ لابنِ سينا، ولا في ديوانِ المتنبي، ولا في حدائقِ قرطبة، أو بساتينِ الزهراء. السعادةُ عند الصحابةِ مع قلةِ ذاتِ اليدِ، وشظفِ المعيشةِ، وزهادةِ المواردِ، وشحِّ النَّفقةِ. السعادةُ عند ابنِ المسيبِ في تألُّهه، وعند البخاري في صحيحه، وعند الحسنِ البصريِّ في صدِّقه، ومع الشافعيِّ في استنباطاته، ومالكٍ في مُراقبته، وأحمدٍ في ورعه، وثابتِ البنانيِّ في عبادته ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾. ليست السعادةُ شيكاً يُصرفُ، ولا دابةً تُشترى، ولا وردةً تُشمُّ، ولا بُراً يُكألُ، ولا بزاً يُنشرُ. السعادةُ سلوةٌ خاطرٍ بحقِّ يحمله، وانشراحٌ صدرٍ لمبدأ يعيشه، وراحةٌ قلبٍ لخيرٍ يكتنفه. كنا نظنُّ أننا إذا أكثرنا من التوسُّعِ في الدُّورِ، وكثرةِ الأشياءِ، وجمعِ المسهلاتِ والمرغباتِ والمشتهياتِ، أننا نسعدُ ونفرحُ ونمرحُ ونُسِرُّ، فإذا هي سببُ الهمِّ والكدرِ والتنغيصِ؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ بهمِّه وغمِّه وضريبةٍ كدِّه وكدِّه ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾. إنَّ أكبرَ مُصلِحٍ في العالمِ رسولُ الهدى محمدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، عاش فقيراً، يتلوى من الجوعِ، لا يجدُ دقْلَ التمرِ يسدُّ جوعه، ومع ذلك عاش في نعيمٍ لا يعلمه إلا اللهُ، وفي انشراحٍ وارتياحٍ، وانبساطٍ واعتباطٍ، وفي هدوءٍ وسكينةٍ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾. في الحديثِ الصحيحِ: " البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حَاكَ في صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ". إنَّ البرَّ راحةٌ للضميرِ، وسكونٌ للنفسِ.

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

كان للصحابة كنوزٌ من الكلمات المباركات الطَّيِّباتِ، التي علَّمهم إياها صفوةُ الخلقِ. وكلُّ كلمةٍ عند أحدهم خيرٌ من الدنيا وما فيها، ومن عظمتهم معرفتهم بقيمة الأشياء ومقادير الأمور. أبو بكرٍ يسأل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُعلِّمه دعاءً، فقال له: "قل: ربِّ إني ظلمتُ نفسي ظُلماً كثيراً، ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، فاغفرْ لي مغفرةً من عندك وارحمني، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ". ويقولُ للعباس: "اسألِ الله العفو والعافية". ويقولُ لعلِّي: "قل: اللَّهُمَّ اهْدِنِي سُدَّذْنِي". ويقولُ لعبيد بنِ حصين: "قل: اللَّهُمَّ أَلْهَمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي". ويقولُ لشَدَّاد بنِ أوس: "قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ، وَشُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعَلَّمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعَلَّمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعَلَّمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ". ويقولُ لمعاذ: "قل: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ". ويقولُ لعائشة: "قولي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي". إنَّ الجامعَ لهذه الأدعية: سؤالُ رضوانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَحْمَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَالنَّجَاةِ مِنْ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ، وَالْعَوْنِ عَلَى عِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَشُكْرِهِ. وَإِنَّ الرِّابِطَ بَيْنَهَا: طَلَبُ مَا عِنْدَ اللهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّ فِي الدُّنْيَا. إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا طَلَبُ أَمْوَالِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَأَعْرَاضُهَا الزَّائِلَةُ، أَوْ زَخْرِفُهَا الرِّخِيسُ.

اكتسابُ الفضائلِ أَكْالِيلُ عَلَى هَامِ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ

مطلوبٌ من العبدِ لكي يكسب السعادة والأمن والراحة، أن يُبادر إلى الفضائلِ، وأن يُسارع إلى الصفاتِ الحميدةِ والأفعالِ الجميلةِ "أحرصُ على ما ينفعُك واستعن بالله". أحدُ الصحابةِ يسألُ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرافقتهُ في الجنةِ فيقول: "أعني على نفسك بكثرة السجودِ،

فإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ بِهَا دَرَجَةً". وَالْآخِرُ يُسْأَلُ عَنْ بَابِ جَامِعٍ مِنَ الْخَيْرِ، فَيَقُولُ لَهُ: "لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ". وَثَلَاثُ يُسْأَلُ فَيَقُولُ لَهُ: "لَا تُسَبِّحَنَّ أَحَدًا، وَلَا تُضْرِبَنَّ يَدَكَ أَحَدًا، وَإِنْ أَحَدٌ سَبَّكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُسَبِّحَنَّ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، وَلَا تُحَقِّرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دُلُوكَ فِي إِنْءِ الْمُسْتَقِيِّ". إِنَّ الْأَمْرَ يَقْتَضِي الْمُبَادَرَةَ وَالْمُسَارَعَةَ: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا"، "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ"، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾. ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾. عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَ أَنْ طَعِنَ وَثَجَّ دُمُهُ، يَرَى شَابًا يَجْرُ إِزَارَهُ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُ: "يَا ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ إِزَارَكَ، فَإِنَّهُ أَتَقَى لِرَبِّكَ، وَأَنْتَى لثُوبِكَ". وَهَذَا أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾. إِنَّ السَّعَادَةَ لَا تَحْصُلُ بِالنَّوْمِ الطَّوِيلِ، وَالخُلُودِ إِلَى الدَّعَةِ، وَهَجْرِ الْمَعَالِي، وَاطْرَاحِ الْفَضَائِلِ. ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾. إِنَّ مَنْطِقَ أَصْحَابِ الْهَمِّ الدُّنْيَةِ وَالنَّفُوسِ الْهَابِطَةِ يَقُولُ: ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾، ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾. وَقَدْ نَهَى الْعَبْدُ بِالْوَحْيِ عَنِ التَّأَخُّرِ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾، ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطِئَنَّ﴾، ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾، ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾، "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُسَلِ"، "وَالْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي".

حقيقة الدنيا

إنَّ ميزان السعادة في كتابِ الله العظيم، وإنَّ تقدير الأشياءِ في ذكرِهِ الحكيم، فهو يُقرِّرُ الشيءَ وقيمتَهُ ومردودَهُ على العبدِ في الدنيا والآخرة ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ * وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ * . هذه هي حقيقة الحياة، وقصورها ودورها، وزهوبها وفضتها ومناصبها. إنَّ من تفاهتها أن تعطي الكافر جملةً واحدةً، وأن يُحرَمَها المؤمنُ لبيِّن للناسِ قيمة الحياة الدنيا. إنَّ عتبة بن غزوان الصحابيِّ الشهير يستغربُ وهو يخطبُ الناس الجمعة: كيف يكونُ في حالةٍ مع رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع سيِّد الخلقِ يأكلُ معه وَرَقَ الشجرِ مجاهدًا في سبيلِ الله، في أَرْضَى ساعاتِ عمرِهِ، وأحلى أيامِهِ، ثمَّ يتخلفُ عن رسولِ الله ، فيكونُ أميرًا على إقليم، وحاكمًا على مقاطعة، إنَّ الحياة التي تُقبلُ بعد وفاة الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حياةٌ رخيصةٌ حقًّا. سعدُ بنُ أبي وقاصٍ يصيبُهُ الدهولُ وهو يتولَّى إمرة الكوفةِ بعد وفاة الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أكلَ معه الشجر، ويأكلُ جلدًا ميتًا، يشويه ثمَّ يسحقه، ثمَّ يحتسيه على الماءِ، فما لهذه الحياةِ وما لقصورها ودورها، تُقبلُ بعد إدبارِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتأتي بعد ذهابه ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ * . إذن في الأمر شيءٌ، وفي المسألة سرٌّ، إنها تفاهة الدنيا فَحَسْبُ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ * ، "والله ما الفقر أخشى عليكم". لَمَّا دخلَ عمرُ على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في المَشْرَبَةِ، ورآه على حصيرٍ أثر في جنبه، وما في بيته إلا شعيرٌ معلقٌ، دمعتُ عينا عمرَ. إنَّ الموقف مؤثِّرٌ، أن يكون رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدوةُ الناسِ وإمامُ الجميع، في هذه الحالةِ ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ

الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴿١٠﴾. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: كَسْرِي وَقِصْرُ فِيمَا تَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا بَنَ الْخَطَابِ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةَ وَلَهُمُ الدُّنْيَا". إِنَّهَا مُعَادِلَةٌ وَاضِحَةٌ، وَقِسْمَةٌ عَادِلَةٌ، فَلْيَرْضَ مَنْ يَرْضَى، وَلْيَسْخَطْ مَنْ يَسْخَطُ، وَلْيَطْلُبِ السَّعَادَةَ مَنْ أَرَادَهَا فِي الدَّرْهِمِ وَالدِّينَارِ وَالْقَصْرِ وَالسِّيَارَةِ وَيَعْمَلْ لَهَا وَحْدَهَا، فَلَنْ يَجِدَهَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. ﴿١١﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٢﴾ * أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾.

وَقْفَةٌ

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. إي: يدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة. «هذا إخبارٌ ووعدٌ وبشارةٌ من الله للذين آمنوا، أنه يدفع عنهم كلَّ مكروهٍ، ويدفع عنهم - بسبب إيمانهم - كلَّ شرٍّ من شرور الكفار، وشرور وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره ما لا يتحملونه، فيخفف عنهم غاية التخفيف، كلُّ مؤمنٍ له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقلٌّ ومُستكثرٌ». من ثمرات الإيمان أنه يُسَلَّى العبدُ به عند المصائب، وتُهَوَّن عليه الشدائد والنوائب ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ وهو العبدُ الذي تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، وأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيرضى ويُسَلِّمُ للأقدار المؤلمة، وتُهَوَّن عليه المصائبُ المزعجة، لصدورها من عند الله، ولا يصالها إلى ثوابه.

قِرَاءَةُ الْعُقُولِ

مَمَّا يَشْرَحُ الْخَاطِرَ وَيُسِّرُ النَّفْسَ، الْقِرَاءَةُ وَالتَّأَمُّلُ فِي عُقُولِ الْأَذْكَيَاءِ وَأَهْلِ الْفِطْنَةِ، فَإِنَّهَا مَتْعَةٌ يَسْلُو بِهَا الْمُطَالِعُ لَتَلِكِ الْإِشْرَاقَاتِ الْبَدِيعَةِ مِنْ أَوْلَئِكَ الْفِطْنَاءِ. وَسَيِّدُ الْعَارِفِينَ وَخَيْرَةُ الْعَالَمِينَ، رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ بَقِيَّةُ النَّاسِ، لِأَنَّهُ مُؤَيَّدٌ بِالْوَحْيِ، مُصَدِّقٌ بِالْمَعْجَزَاتِ، مَبْعُوثٌ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَهَذَا فَوْقَ ذِكَاةِ الْأَذْكَيَاءِ وَلَمُوعِ الْأَدْبَاءِ.

فَتَبَيَّنُوا

الْعَاقِلُ ثَابِتُ الْقَدَمِ، سَدِيدُ الرَّأْيِ، إِذَا هَجَمَتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ، وَأَشْكَلَتِ الْمَسَائِلُ، فَلَا يَأْخُذُ بِالْبُودِرِ، وَلَا يَتَعَجَّلُ الْحُكْمَ، وَإِنَّمَا يُمَحِّصُ مَا يَسْمَعُ، وَيَقْلُبُ النَّظَرَ، وَيُحَادِثُ الْفِكْرَ، وَيُشَاوِرُ الْعُقَلَاءَ، فَإِنَّ الرَّأْيَ الْخَمِيرَ، خَيْرٌ مِنَ الرَّأْيِ الْفَطِيرِ. وَقَالُوا: لِأَنَّ تَخْطَى فِي الْعَفْوِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَخْطَى فِي الْعُقُوبَةِ ﴿ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾.

وَقَفَةٌ

«مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعْرِفَتُهُ، وَدَوَامُ ذِكْرِهِ، وَالسُّكُونُ إِلَيْهِ، وَالطَّمَأِينَةُ إِلَيْهِ، وَإِفْرَادُهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ، وَالْمَعَامَلَةُ، بِحَيْثُ يَكُونُ هُوَ وَحْدَهُ الْمَسْتَوْلِي عَلَى هَمُومِ الْعَبْدِ وَعِزَمَاتِهِ وَإِرَادَتِهِ. هُوَ جَنَّةُ الدُّنْيَا، وَالنَّعِيمُ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ نَعِيمٌ، وَهُوَ قُرَّةُ عَيْنِ الْمُحِبِّينَ، وَحَيَاةُ الْعَارِفِينَ». «تَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَاللَّهْجُ بِذِكْرِهِ وَالْقِنَاعَةُ: أَسْبَابُ لَزْوَالِ الْهَمُومِ وَالْغُمُومِ، وَانْشِرَاحُ الصَّدْرِ وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ. وَالضُّدُّ بِالضِّدِّ، فَلَا أَضِيقُ صَدْرًا، وَأَكْثَرُ هَمًّا، مَمَّنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَنَسِيَ ذِكْرَ اللَّهِ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ، وَالتَّجْرِبَةُ أَكْبَرُ شَاهِدٍ».

أنت تتعامل مع أرحم الراحمين

إن لفت نظرك هذا الحديث، فقد لفت نظري أيضاً، وهو ما رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والطبراني، أن شيخاً كبيراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مُدَعَّمٌ على عصا، فقال: يا نبي الله، إن لي غدرات وفجرات، فهل يُغفرُ لي؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟" قال: نعم يا رسول الله. قال: "فإن الله قد غفر لك غدراتك وفجراتك". فانطلق وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر. أفهم من الحديث مسائل: منها سعة رحمة أرحم الراحمين، وأن الإسلام يهدم ما قبله، وأن التوبة تجب ما قبلها، وأن جبال الذنوب في غفران علام الغيوب لا شيء، وأنه يجب عليك حُسن الظن بمولاك، والرجاء في كرمه العميم، ورحمته الواسعة.

وَقْفَةٌ

عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من كانت الدنيا همّةً، فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتِبَ له. ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة". وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سمعتُ نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: "من جعل الهموم همّاً واحداً، وهم آخرته، كفاه الله همّ دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا، لم يُبالِ الله في أيّ أوديتها هلك".

هكذا خلقت

في الحديث: "كُلُّ مَيْسَرٍ لَمَّا خُلِقَ لَهُ". فلماذا تُعَسَفُ المواهبُ ويُلوَى عنقُ الصِّفَاتِ والقدراتِ كَيْبًا؟! إن الله إذا أراد شيئاً هيئاً أسبابه، وما هناك أتعسُ نفساً وأتكدُّ خاطراً من الذي يُريدُ أن يكونَ غيرَ نَفْسِهِ، والذكيُّ الأريبُ هو الذي يَدْرُسُ نَفْسَهُ، ويسدُّ الفراغَ الذي وُضعَ له، إن كان في السَّاقَةِ كان في السَّاقَةِ، وإن كان في الحِرَاسَةِ كان في الحِرَاسَةِ، هذا سيبويه شيخُ النَّحوِ، تعلَّم الحديثَ فأعياهُ، وتبدَّلَ حُسُّهُ فيه، فتعلَّم النَّحو، فَمَهَرَ فيه وأتى بالعَجَبِ العُجَابِ. يقولُ أحدُ الحكماءِ: الذي يريدُ عملاً ليس من شأنِهِ، كالذي يزرعُ النَّخْلَ في غوطةِ دمشق، ويزرعُ الأترجَ في الحجازِ. حسانُ بنُ ثابتٍ لا يُجيدُ الأذانَ، لأنه ليس بلالاً، وخالدُ بنُ الوليدِ لا يَقْسِمُ الموارِيثَ، لأنه ليس زيد بن ثابتٍ، وعلماءُ التَّربيةِ يقولون: حدِّدْ موقِعَكَ.

أنت أرفع من الأحقاد

أسعدُ الناسَ حالاً وأشرحهم صدرأً، هو الذي يُريدُ الآخرةَ، فلا يحسدُ الناسَ على ما آتاهم اللهُ من فضلهِ، وإنما عنده رسالةٌ من الخيرِ ومُثلٌ ساميةٌ من البرِّ والإحسانِ، يريدُ إيصالَ نفعِهِ إلى الناسِ، فإن لم يستطعَ، كفَّ عنهم أذاه. وانظرْ إلى ابنِ عباسٍ بحرِ العلمِ وترجمانِ القرآنِ، كيف استطاعَ بخُلُقِهِ الجَمِّ وسخاوةِ نَفْسِهِ، أن يحوِّلَ أعداءَهُ من بني أُمَيَّةَ وبني مروانِ ومن شايِعِهِم إلى أصدقاءٍ، فانتفعَ الناسُ بعلمِهِ وفهمِهِ، فملاً المجامعَ فقهاً وذكراً وتفسيراً وخيراً. لقد نسي ابنُ عباسٍ أيامَ الجَمَلِ وصنِّينَ، وما قبلها وما بعدها، وانطلقَ بيني ويصلحُ، ويرتُقُّ الفَتقَ، ويمسحُ الجراحَ، فأحبُّهُ الجميعُ، وأصبحَ - بحقِّ حَبْرِ الأُمَّةِ المحمديَّةِ. وهذا ابنُ الزبيرِ - رضي اللهُ عنه - وهو من هو في كرمِ أصلِهِ وشهامتِهِ وعبادتِهِ وسموِّ قدرِهِ، فضَّلَ المُوَجَّهَةَ مجتهداً في ذلك، فكان من النتائجِ أن شغَلَ عن الرِّوايةِ، وخَسِرَ جمْعاً كثيراً من المسلمين، ثمَّ حصلتِ الواقعةُ

فَضْرِبَتِ الكعبةُ لأجل مُجاوَرَتِهِ في الحَرَمِ، وذُبِحَ كثيرٌ من الناسِ، وقُتِلَ هو ثمَّ صُلبَ ﴿ وَكَانَ أَمْرُ
اللهِ قَدْرًا مَّقْدُورًا ﴾. وليسَ هذا تَقْصًا للقومِ، ولا تطاؤلاً على مكانَتِهِمْ، وإنما هي دراسةٌ
تاريخيةٌ تَجْمَعُ العِبَرَ والعِظَاتِ. إنَّ الرِّفْقَ واللينَ والصَّفْحَ والعَفْوَ، صفاتٌ لا يَجْمَعُهَا إِلَّا القِلَّةُ
القليلةُ من البشرِ، لأنها تُكَلِّفُ الإنسانَ هُضْمَ نَفْسِهِ، وكَبْحَ طموحِهِ، وإلْجَامَ اندفاعِهِ وتطلُّعِهِ.

صِنَائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ

من أجملِ الكَلِمَاتِ، قولُ أبي بكرٍ الصِّديقِ - رضي اللهُ عنه -: صِنَائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ
السُّوءِ. وهذا كَلَامٌ يُصَدِّقُهُ النُّقْلُ والعَقْلُ: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ * لَلَبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى
يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾. تقولُ خديجةٌ للرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَلَا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ
لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ ". فانظُرْ كيفَ
استدلَّتْ بمحاسِنِ الأفعالِ على حُسْنِ العواقِبِ، وكَرَمِ البدايةِ على جلالَةِ النهايةِ.

يَا لِسَعَادَةِ هَؤُلَاءِ

أبو بكرٍ - رضي اللهُ عنه -: بآيةٍ: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتَقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾. عمرٌ - رضي
اللهُ عنه -: بحديثٍ: " رأيتُ قصرًا أبيضًا في الجنةِ، قلتُ: لمن هذا القصرُ؟ قيلَ لي: لعمرِ بنِ
الخطابِ ". وعثمانُ - رضي اللهُ عنه -: بدعاءٍ: " اللهم اغفرْ لعثمانَ ما تقدَّم من ذنبِهِ وما تأخَّرَ ".
وعليٌّ - رضي اللهُ عنه -: " رَجُلٌ يَحِبُّ اللهُ ورسولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ ". وسعدُ بنُ معاذٍ -
رضي اللهُ عنه -: " اهتزَّ له عرشُ الرحمنِ ". وعبدُاللهُ بنُ عمرو الأنصاريُّ - رضي اللهُ عنه -:
" كَلِمَةُ اللهِ كِفاحًا بلا ترْجُمانٍ ". وحنظلةٌ - رضي اللهُ عنه -: " غَسَلَتْهُ ملائكةُ الرحمنِ ".

يَا لِسَقَاوَةِ هَؤُلَاءِ

فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾. وقارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾. والوليد بن المغيرة: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾. وأمّية بن خلف: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾. وأبو لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. والعاص بن وائل: ﴿كَأَلَّا سَنَكْتَبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾.

وَقْفَةٌ

«قِلَّةُ التَّوْفِيقِ وَفَسَادُ الرَّأْيِ، وَخِفَاءُ الْحَقِّ وَفَسَادُ الْقَلْبِ، وَخَمُولُ الذِّكْرِ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ، وَنَفْرَةُ الْخَلْقِ، وَالْوَحْشَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَمَنْعُ إِجَابَةِ الدَّعَاءِ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَمَحْقُ الْبِرْكَةِ فِي الرَّزْقِ وَالْعُمْرِ، وَحِرْمَانُ الْعِلْمِ، وَلِبَاسُ الذُّلِّ، وَإِهَانَةُ الْعَدُوِّ وَضِيقُ الصَّدْرِ، وَالْإِبْتِلَاءُ بِقِرْنَاءِ السَّوِّءِ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ الْقَلْبَ وَيُضَيِّعُونَ الْوَقْتِ، وَطَوْلُ الْهَمِّ، وَضَنْكُ الْمَعِيشَةِ، وَكَسْفُ الْبَالِ... تَتَوَلَّدُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، كَمَا يَتَوَلَّدُ الزَّرْعُ عَنِ الْمَاءِ، وَالْإِحْرَاقُ عَنِ النَّارِ. وَأَضْدَادُ هَذِهِ تَتَوَلَّدُ عَنِ الطَّاعَةِ». «أَمَّا تَأْثِيرُ الْإِسْتِغْفَارِ فِي دَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالضِّيقِ، فَمِمَّا اشْتَرَكِ فِي الْعِلْمِ بِهِ أَهْلُ الْمَلَلِ وَعَقْلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ، إِنَّ الْمَعَاصِي وَالْفَسَادَ تُوجِبُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ، وَالْخَوْفَ وَالْحَزْنَ، وَضِيقَ الصَّدْرِ، وَأَمْرَاضَ الْقَلْبِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَهَا ذَا قَضَا مِنْهَا أَوْطَارَهَا، وَسَمَّتْهَا نَفْسُهُمْ، ارْتَكَبُوهَا دَفْعًا لَمَّا يَجِدُونَهُ فِي صَدُورِهِمْ مِنَ الضِّيقِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ. وَإِذَا كَانَ هَذَا تَأْثِيرَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ فِي الْقُلُوبِ، فَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا التَّوْبَةُ وَالْإِسْتِغْفَارُ».

الرَّفْقُ يُعِينُ عَلَى حُصُولِ الْمَقْصُودِ

مَرَّتْ آثَارُ وَنُصُوصُ فِي الرَّفْقِ، وَالرَّفْقُ شَفِيعٌ لَا يُرَدُّ فِي طَلَبِ الْحَاجَاتِ، وَلَكِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الطَّرِيقَ الضَّيِّقَ بَيْنَ جِدَارَيْنِ، الَّذِي لَا يَتَسَعُّ إِلَّا لِمُرُورِ سَيَّارَةٍ وَاحِدَةٍ فَحَسْبُ، لَا تَدْخُلُهَا هَذِهِ السَّيَّارَةُ إِلَّا بِرَفْقٍ مِنْ قَائِدِهَا وَحَذِرٍ وَتَوَقُّ، بَيْنَمَا لَوْ أَقْبَلَ بِهَا مُسْرِعًا وَأَرَادَ الْمُرُورَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ الضَّيِّقِ لاصْطَدَمَ يَمْنَةً وَيَسْرَةً وَتَعَطَّلَتْ سَيَّارَتُهُ، وَالطَّرِيقُ لَمْ يَزِدْ وَلَمْ يَنْقُصْ، وَالسَّيَّارَةُ هِيَ هِيَ، لَكِنَّ الطَّرِيقَةَ هِيَ الَّتِي اخْتَلَفَتْ، تَلِكُ بِرَفْقٍ وَهَذِهِ بِشِدَّةٍ. وَالشَّجَرَةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي نَعْرُسُهَا فِي حَوْضِ فَنَاءِ أَحَدِنَا، إِذَا سَكَبْتَ عَلَيْهَا الْمَاءَ شَيْئًا فَشَيْئًا تَشْرَبُ مِنْهُ وَيَنْفَعُهَا، فَإِذَا أَخَذْتَ كَمِيَّةً مِنْ هَذَا الْمَاءِ بَعِينِهِ وَحَجْمَهُ وَأَلْقَيْتَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَأَقْتَلَعْتَ هَذِهِ النَّبْتَةَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ كَمِيَّةَ الْمَاءِ وَاحِدَةً وَلَكِنَّ الْأَسْلُوبَ تَغَيَّرَ.

حَتَّى تَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ

• ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَكْفِيكُمْ اللَّهُ فَيَسُدُّكُمْ وَيُرْعَاكُمْ وَيُدْفَعُ عَنْكُمْ وَيَحْمِيكُمْ فَلَا تَخَافُونَ.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْأَعْدَاءَ، يَعَافِيهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ، وَيَشَافِيهِمْ مِنَ الدَّاءِ، يَحْفَظُهُمْ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ.

• ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يَرَانَا، يَسْمَعُ كَلَامَنَا، يَنْصَرُنَا عَلَى عَدُونِنَا، يَيْسِرُنَا مَا أَهَمَّنَا، يَكْشِفُ عَنَّا مَا أَغَمَّنَا.

• ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أَمَا جَعَلْنَاهُ فَيْحًا وَسَيْعًا مَبْتَهَجًا مَسْرُورًا سَاكِنًا مَطْمَئِنًّا فَرِحًا مَعْمُورًا؟!

• ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ فنحن نكفيك مكرهم، ونصدُّ عنك كيدهم، ونردُّ عنك أذاهم فلا تضقُّ ذرعاً.

• ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا﴾ وأنتم الأعلون عقيدةً وشريعةً، والأعلون منهجاً وسيرةً، والأعلون سنداً ومبدأً، وأخلاقاً وسلوكاً.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يعفو عن المذنب، يقبلُ التوبة، يقبلُ العثرة، يمحو الزلة، يستر الخطيئة، يتوبُ على التائب.

• ﴿وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ فإن فرجةً قريب، ولطفهً عاجل، وتيسيرهً حاصل، وكرمهً واسع، وفضله عام.

• ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يُشافي ويُعافي ويُجِيبِي ويختار، ويحفظُ ويتولى، ويستُرُّ ويغفرُ، ويحلمُ ويتكرمُ.

• ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ يحفظ الغائب، يرد الغريب، يهدي الضال، يعافي المبتلى، يشفي المريض، يكشفُ الكرب.

• ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ فوَضُوا الأمر إليه، وأعيدوا الشأن إليه، واشكوا الحال عليه، ارضوا بكفائته، اطمئنوا لرعايته.

• ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ﴾ فيفتح الأفقال، ويكشف الكُربَ الثقال، ويزيل الليالي الطوال، ويشرح البال، ويصلح الحال.

• ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ فيذهب غمًّا ويطرُد همًّا ويزيلُ حزنًا ويسهلُ أمرًا
ويُقربُ بعيدًا.

• ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يكشفُ كربًا ويغفرُ ذنبًا ويعطي رزقًا ويشفي مريضًا ويعافي مبتلىً،
ويفكُّ مأسورًا، ويجبرُ كسيرًا.

• ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مع الفقرِ غنى، وبعد المرضِ عافيةٌ، وبعد الحزنِ سرورٌ، وبعد الضيقِ
سعةٌ، وبعد الحبسِ انطلاقٌ، وبعد الجوعِ شبعٌ.

• ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ سيحلُّ القيدُ، وينقطعُ الحبلُ، ويُفتحُ البابُ، وينزلُ الغيثُ،
ويصلُ الغائبُ، وتصلحُ الأحوالُ.

• ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فسوف يبدلُ الحالُ، وتهدأُ النفسُ، وينشرحُ الصدرُ، ويسهلُ الأمرُ، وتحلُ
العقدُ، وتفرجُ الأزمةُ.

• ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ليصلحُ حالُك، ويشرحُ بألك، ويحفظُ مألُك، ويرعى
عيالُك، ويكرمُ مألُك، ويُحقِّقَ آمالُك.

• ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ يكشفُ عنا الكروبَ، ويزيلُ عنا الخطوبَ، يغفرُ لنا الذنوبَ،
يصلحُ لنا القلوبَ، يذهبُ عنا العيوبَ.

• ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ هديناك واجتبيناك، وحفظناك ومكانك، ونصرناك وأكرمناك، ومن
كلِّ بلاءٍ حسنٍ أبليناك.

• ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فلا ينالك عدوُّ، ولا يصل إليك طاغيةٌ، ولا يغلبك حاسدٌ، ولا يعلو عليك حاقدٌ، ولا يجتاحك جبارٌ.

• ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ خلقك ورزقك، علّمك وفهّمك، هداك وسدّدك، أرشدك وأدبك، نصرك وحفظك، تولاك ورعاك.

• ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ أعطى الخلق والرّزق، والسمع والبصر، والهداية والعافية، والماء والهواء، والغذاء والدواء، والمسكن والكساء.

• "إذا سألت فاسأل الله" تجد العون والكفاية والرشد والسداد، واللفظ والفرج، والنصر والتأييد.

• على الله توكلنا وبدينه آمنة ولرسوله اتبعنا ولقوله استمعنا وبدعوتِهِ اجتمعنا، فلا تحزن إن الله معنا.

• ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾، فيرفع قدره، ويعلي شأنه، ويتولى أمره، ويخذلّ عدوه ويكبتُ خصمه ويخزي من كاده.

• "لا حول ولا قوة إلا بالله" لا إرادة ولا قدرة ولا تأييد ولا نصر ولا فرج ولا عون ولا كفاية ولا طاقة إلا بالله العظيم.

• ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يطالع كتاب الكون، ويقرأ دفتر الجمال، ويتمتع بمشاهد الحُسن ويسرّح طرفه في مهرجان الحياة.

• ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ يتكلم بالبيان المشرق، ينطق بالحديث الجذاب، يتحدث بالكلمات الآسرات، يترجم عما في قلبه.

• ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ فيعظم علمكم ويزيد فهمكم ويبارك في رزقكم، ويتحقق نصركم ويكثر خيركم.

• ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ عامة وخاصة، في الدين والدنيا، في الأهل والمال، في المواهب والجوارح، في الروح.

• ﴿وَأَقْوَصُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ أرفع شكائتي إليه، أعرض حالي عليه، أحسن ظني به، أتوكل عليه، أرضى بحكمه، أطمئن إلى كفايته.

• ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ يرزقهم إذا افتقروا، يغيثهم إذا قحطوا، يغفر لهم إذا استغفروا، يشفيهم إذا مرضوا، يعافهم إذا ابتلوا.

• ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ لم يُغلق بابه، لم يسد حجابه، لم تنفذ خزائنه، لم ينته فضله، لم ينقطع حبله.

• ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ يكفيه ما أهمه وأغمه، يحميه ممن قصده، يمنعه ممن كاد له، يحفظه ممن مكر به.

• ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ فعنده الخزائن، ولديه الكنوز، وبيده الخير، وهو الجواد المنان الفتح العليم.

• ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يكشف كربه ويغفر ذنبه، ويذهب غيظه وينير طريقه ويسد خطاه.

• ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ كتتم أمواتاً فأحياكم، وضيلاً فهداكم، وفقراء فأغناكم، وجهلة فعلمكم، ومُستضعفين فنصركم.

• ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ارفعوا إلى الله أكفكم، قدموا إليه حوائجكم، اسألوه مرادكم، اطلبوه رزقكم، اشكوا عليه حالكم.

• ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ فيزيل كربه وبلواه ويذهب ما أضناه، ويعطيه ما تمناه، ويحقق مبتغاه.

• ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ تصمدُ إليه الكائناتُ، تقصدهُ المخلوقاتُ، تدعوه البرياتُ بشتى اللغاتِ ومختلف اللهجاتِ في سائر الحاجاتِ.

• ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ينيرُ لهم الطريقَ، يبين لهم المَحَجَّةَ، يوضحُ لهم الهدايةَ، يحميهم من الضلالةِ، يعلمُهم من الجهالةِ.

• ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ فيرد كيدهم وبيطل مكرهم، ويخذل جندهم، ويفلِّ حدَّهم، ويمحق قوتهم، ويذهب بأسهم ويشتت شملهم.

• ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ فشفي غليلهم، وأبرد عليلهم، وأطفأ لهب صدورهم، وأراح ضمائرهم، وطهر سرائرهم.

• "الكلمة الطيبة صدقة" لأنها تفتح النفس، وتسعد القلب، وتدمل الجراح، وتذهب الغيظ وتعلن السلام.

• "تبسمك في وجه أخيك صدقة" لأن الوجه عنوان الكتاب، وهو مرآة القلب، ورائد الضمير وأول الفأل.

• ﴿ادْفَعْ بِأَلْتِي هِي أَحْسَنُ﴾ بترك الانتقام، ولطف الخطاب، ولين الجانب، والرفق في التعامل ونسيان الإساءة.

• ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ولكن لتسعد وتفرح روحك، وتسكن نفسك، وتدخل به جنة الفلاح، وفردوس السعادة.

• ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ بل يسر وسهولة، ومراعاة للمشقة، وبعد عن الكلفة، وسلامة من التعب والإرهاق.

• ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ فيسعدون بعد شقاء ويرتاحون بعد عناء ويأمنون بعد خوف، ويسرون بعد حزن.

• ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ فأرى النور أمامي، وأحس الهدى بقلبي، وأمسك الحبل بيدي، وأنال النجاح في حياتي، والفوز بعد مماتي.

• ﴿وَيُسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾ فتعبد ربك بحب وتطيعه بودّ وتجاهد فيه بصدق؛ فيصبح العذاب فيه عذبا، والعلقم في سبيله شهداً.

• ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فلا تكليف فوق الطاقة، وإنما على حسب الجهد وعلى قدر الموهبة وعلى مقدار القوة.

• ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ فَأَنَا نَهْمُ أَحْيَانًا، وَنَغْفَلُ أَوْقَاتًا، وَيُصِيبُنَا الشَّرُودُ وَيَعْتَرِينَا الذَّهُولُ
فَعْفُوكَ يَا رَبُّ.

• ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فَلَسْنَا مَعْصُومِينَ وَلَا مِنْ الذَّنْبِ بِسَالِمِينَ، وَلَكِنَّا فِي فَضْلِكَ طَامِعُونَ وَفِي رَحْمَتِكَ
رَاغِبُونَ.

• ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ فَنَحْنُ عِبَادٌ ضُعْفَاءُ وَبَشَرٌ مَسَاكِينُ، أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنَا كَيْفَ
نَدْعُوكَ فَأَجِبْنَا.

• ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ فَنَعْجَزُ وَتَكَلُّ قُلُوبُنَا وَتَمَلُّ نَفُوسُنَا، بَلْ يَسِّرْ عَلَيْنَا وَقَدْ
فَعَلْتَ، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا وَقَدْ أَوْجَبْتَ.

• ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ فَنَحْنُ أَهْلُ الْخَطَا وَالْحَيْفِ وَمَنَا تَبَدُّرُ الْإِسَاءَةِ، وَفِينَا نَقْصٌ وَتَقْصِيرٌ، وَأَنْتَ جَوَادٌ
كَرِيمٌ رَحْمَانٌ رَحِيمٌ.

• ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ فَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَسْتُرُ الْعُيُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَحْلُمُ عَنِ الْمَقْصَرِ إِلَّا
أَنْتَ، وَلَا يَتَفَضَّلُ عَلَى الْمَسِيءِ إِلَّا أَنْتَ.

• ﴿وَارْحَمْنَا﴾ فَبِرَحْمَتِكَ نَسْعُدُ، وَبِرَحْمَتِكَ تَعِيشُ آمَالُنَا، وَبِرَحْمَتِكَ تُقْبَلُ أَعْمَالُنَا، وَبِرَحْمَتِكَ
تَصْلَحُ أَحْوَالُنَا.

• "بعثت بالحنيفة السمحة" فَلَاعَنْتَ فِيهَا وَلَا تَنْطَعُ وَلَا تَكَلِّفَ وَلَا مَشَقَّةَ وَلَا غَلْوًا، بَلْ فَطَرْتَهُ وَسَنَنْتَهُ
وَيَسِّرْ وَاقْتَصِدْ.

• "إياكم والغلو" بل الزموا السنة، اتبعوا لا ابتدعوا، وسهولة لا مشادة، وتوسط لا تطرف، واقتفاء بلا زيادة.

• "أمّتي أمة مرحومة" تولاها ربها، فرسولها سيد الرسل ودينها أحسن الأديان، وهي أفضل الأمم وشريعته أجمل الشرائع.

• "ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً" وهذه الثلاثة أركان الرضا وأصول الفلاح.

• "كن في الدنيا كأنك غريب" قطعة خبز، وجرعة ماء، وكساء، وأيام قليلة، وليال معدودة، ثم ينتهي العالم، فإذا قبر أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء سواء.

• إياك والتسخط فإنه باب الحزن والهم والغم وشتات القلب وكسف البال وسوء الحال وضياع العمر.

• الرضا يكسب في القلب السكينة والدعة، والراحة والأمن، والطمأنينة وطيب العيش والسرور والفرح.

• الرضا يجعل القلب سليماً من الغش والدغل، والغل والتسخط، والاعتراض والتذمر، والملل والضجر والتبرم.

• من رضي عن الله ملاً قلبه نوراً وإيماناً، ويقيناً وحباً وقناعة ورضى وغنى وأمناً، وإنابة وإحباتاً.

• أيها الفقير: صبرٌ جميل، فقد سلمت من تبعات المال، وخدمة الثروة، وعناء الجَمْع، ومشقة وحراسة المال وخدمته، وطول الحساب عند الله.

• يا من فقدَ بصره: أشرُّ بالجنة ثمنًا لبصرك، واعلم أنك عُوْضتَ نوراً في قلبك، وسلمت من رؤية المنكرات، ومشاهدة المزعجات والملهيات.

• يا أيها المريض: طهورٌ إن شاء الله فقد هُذِّبَت من الخطايا، ونُقِّيت من الذنوب، وصُقِل قلبك وانكسرت نفسك، وذهب كِبْرُك وعُجْبُك.

• لماذا تُفكر في المفقود ولا تشكر الموجود، وتنسى النعمة الحاضرة، وتتحسر على النعمة الغائبة، وتحسد الناس وتغفل عما لديك.

• يدفن المَلِكُ بجانب الخادم، والرئيس بجوار الحارس، والشاعر المشهور مع الفقير الخامل، والغني مع المسكين والفقير والكسير، ولكن داخل القبر أعمالٌ مختلفةٌ ودرجاتٌ متباينةٌ.

• إذا زارك يومٌ جديدٌ فقل له مرحباً بضيفٍ كريم، ثم أحسن ضيافته بفريضةٍ تؤدِّي، وواجب يُعمَلُ وتوبةٍ تجددُ، ولا تكدره بالآثام والهموم فإنه لن يعود.

• إذا تذكرت الماضي فاذكر تاريخك المشرق لتفرح، وإذا ذكرت يومك فاذكر إنجازك تسعدُ، وإذا ذكرت الغد فاذكر أحلامك الجميلة لتتفاءل.

• طولُ العمرِ ثروةٌ من التجارب، وجامعةٌ من المعارف، ومستودعٌ من المعلومات، وكلما مرَّ بك يومٌ تلقيت درساً في فنِّ الحياة، إن طول العمرِ بركةٌ لقومٍ يعقلون.

• لا بد من شيء من الخوفِ يذكرك الأمانَ، ويحثك على الدعاءِ، ويردعك عن المخالفة، ويحذرك من خطرٍ أعظم.

• ولا بد من شيء من المرضِ يذكرك العافيةً، ويجتثُّ شجرة الكبرِ، ودرجة العُجبِ، ليستيقظ قلبك من رقدة الغافلين.

• الحياةُ قصيرةٌ فلا تقصِّرْها أكثر بالنكدِ، والصديقُ قليلٌ فلا تخسره باللومِ، والأعداءُ كثيرٌ فلا تزدُ عددهم بسوء الخلقِ.

• كن كالنملةِ في المثابرةِ، فإنها تصعدُ الشجرةَ مائةً مرةً وتسقطُ، ثم تعودُ صاعدةً حتى تصل، ولا تكلُّ ولا تملُّ.

• وكن كالنحلةِ فإنها تأكلُ طيباً، وتضعُ طيباً، وإذا وقعتْ على عودٍ لم تكسره، وعلى زهرةٍ لا تخذشها.

• لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلبٌ، فكيف تدخل السكينة قلباً فيه كلابُ الشهواتِ والشبهاتِ.

• احذر مجالس الخصومات ففيها يباعُ الدينُ بثمانٍ بخسٍ، ويحرَّجُ على المروءةِ، ويداسُ فيها العرْضُ بأقدام الأندالِ.

• عرقُ العاملِ أذكى من مسكِ القاعدِ، وزفراءُ الكادحِ أجملُ من أناشيدِ الكسولِ، ورغيفُ الجائعِ ألدُّ من خروفِ المترِفِ.

• الشتمُ الذي يوجه للناجحين من حُسَّادِهِم هي طلقاءُ مدفعِ الانتصارِ، وإعلاناتُ الفوزِ، ودعايةٌ مجانيةٌ للتفوقِ.

• التفوق والمثابرة لا تعترف بالأنساب والألقاب ومستوى الدخل والتعليم، بل من عنده همة وثابة، ونفس متطلعة، وصبر جميل، أدرك العلياء.

• لا تتهيب المصاعب فإن الأسد يواجه القطيع من الجمال غير هياب، ولا تشك المتاعب فإن الحمار يحمل الأثقال ولا يئن، ولا تضجر من مطلبك فإن الكلب يطارد فريسته ولو في النار.

• لا تستقل برأيك في الأمور بل شاوَر فإن رأي الاثنين أقوى من رأي الواحد، كالحبل كلما قرن به حبل آخر قوي وأشد.

• لا تحمل كل نقد يوجه إليك على أنه عداوة، بل استفد منه بغض النظر عن مقصد صاحبه فإنك إلى التقويم أحوج منك إلى المدح.

• من عرف الناس استراح، فلا يطرب لمدحهم، ولا يجزع من ذمهم، لأنهم سريعو الرضا، سريعو الغضب، والهوى يحركهم.

• لا تظن العاهات تمنعك من بلوغ الغايات، فكم من فاضل حاز المجد وهو أعمى أو أصم أو أشل أو أعرج، فالمسألة مسألة هم لا أجسام.

• عسى أن يكون منعه لك سبحانه عطاءً وحجزك عن رغبتك لطفًا، وتأخرك عن مرادك عناية، فإنه أبصر بك منك.

• إذا زارتك شدة فاعلم أنها سحابة صيف عن قليل تُقشع، ولا يخفك رعدُها، ولا يرهبك برقها فربما كانت محملة بالغيث.

• من لم يسعد في بيته فلن يسعد في أي مكان، واعلم أنه أنسب مكان لراحة النفس وهدوء البال،
والبعد عن التكلف هو بيتك.

• العلم والثقافة مجدها باقٍ خاصةً لمن علّم الناس وألّف، أما مجد الشهرة والمنصب فظلُّ
زائل، وطيف زائف.

• الفكر إذا ترك ذهب إلى خانة المآسي، فجرّ الآلام والأحزان، فلا تتركه يطيش ولكن قيده فيما
ينفع.

• مما يشوش البال ويقسي القلب مخالطة الناس وسماع كلامهم اللاهي، وطول مجالستهم،
وما أحسن العزلة مع العبادة والعلم.

• أشرف السبل سبيلك إلى المسجد، وآمن الطرق طريقك إلى بيتك، وأصعبُ المواقفِ
وقوفك أمام السلطان، وأعظمُ الهيئاتِ سجودك للديان.

• الأخلاق الجميلة والسجايا النبيلة، أجملُ من وسامة الوجوه، وسوادِ العيون، ورقة الخدود؛
لأن جمال المعنى أجلُّ من جمال الشكل.

• صنائعُ المعروفِ تقي مصارعِ السوءِ، وجدائرُ العقلِ يمنعُ من مزالِقِ الهوى، ومطارقُ التجاربِ
أنفعُ من ألفِ واعظٍ.

• إذا رأيت الكافر فاحمدِ الله على الإسلام، وإذا رأيت الفاجر فاحمدِ الله على التقوى، وإذا
رأيت الجاهل فاحمدِ الله على العلم، وإذا رأيت المبتلى فاحمدِ الله على العافية.

• الأعمى يتمنى أن يشاهدَ العالمَ، والأصمُّ يتمنى سماعَ الأصواتِ، والمقعَّدُ يتمنى المشيَ خطواتٍ، والأبكمُ يتمنى أن يقولَ كلماتٍ، وأنت تشاهدُ وتسمعُ وتتكلمُ.

• لا تظنَّ أن الحياةَ كملتَ لأحدٍ، من عنده بيتٌ ليس عنده سيارةٌ، ومن عنده زوجةٌ ليس عنده وظيفةٌ، ومن عنده شهيةٌ قد لا يجدُ الطعامَ، ومن عنده المأكولاتُ مُنِعَ من الأكلِ.

• المسجدُ سوقُ الآخرة، والكتابُ صديقُ العمرِ، والعملُ أنيسُ في القبرِ، والخلقُ الحسنُ تاجُ الشرفِ، والكرمُ أجملُ ثوبٍ.

• لا تتخذَ قراراً وأنت مغضبٌ فتندم؛ لأن الغضبَانَ يفقدُ الصوابَ، وتفوته الرويةُ، وينقصه التأملُ.

• الحزنُ لا يرد الغائبَ، والخوفُ لا يصلحُ للمستقبلَ، والقلقُ لا يحققُ النجاحَ، بل النفسُ السويةُ، والقلبُ الراضي هما جناحا السعادةِ.

• من أعطى نفسه كلما تطلبُ تشتتَ قلبه، وضاع أمره، وكثر همُّه؛ لأنَّه لا حدَّ لمطالبِ النفسِ فهي أمارَةٌ غرَّارةٌ.

• عسى تأخيرُك عن سفرٍ خيراً، وعسى حرمانُك زوجةً بركةً، وعسى ردك عن وظيفةٍ مصلحةً، لأنه يعلمُ وأنت لا تعلمُ.

• الصخرُ أقوى من الشجرِ، والحديدُ أقوى من الصخرِ، والنارُ أقوى من الحديدِ، والريحُ أقوى من النارِ، والإيمانُ أقوى من الريحِ المرسلِ.

• كلُّ مأساةٍ تصيبُك فهي درسٌ لا يُنسى، وكلُّ مصيبةٍ تصيبُك فهي محفورةٌ في ذاكرتك، ولهذا هي النصوص الباقية في الذهن.

• النجاحُ قطراتٌ من المعاناةِ والغصصِ والجراحاتِ والآهاتِ والمزعجاتِ، الإخفاقُ قطراتٌ من الخمولِ والكسلِ والعجزِ والمهانةِ والخَوَرِ.

• الذي يحرص على الشهرةِ المؤقتةِ، ولا يسعى للخلودِ ببناءِ حَسَنٍ، وعلمٍ نافعٍ صالحٍ، إنما هو رجلٌ بسيطٌ لا همّةَ له.

• "يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها " لأن الصلاة فيض من السكينة، ونهر من الأمن، وريح طيبة باردة تهبُّ على النفس فتطفئ نارَ الخوفِ والحزنِ.

• إذا لم تعص رباً؛ ولم تظلم أحداً، فم قرير العين، وهنيئاً لك فقدَ علا حظك وطاب سعيك فليس لك عدوٌ.

• هنيئاً لمن بات والناسُ يدعون له، وويلٌ لمن نامَ والناسُ يدعون عليه، وبُشْرَى لمنى أحبته القلوبُ، وخسارةٌ لمن لعنته الألسنُ.

• إذا لم تجد عدلاً في محكمة الدنيا فارفعْ ملفك لمحكمة الآخرة فإن الشهود ملائكةٌ، والدعوى محفوظةٌ، والقاضي أحكمُ الحاكمين.

• ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ لولم يكن للذكر من فائدةٍ إلا هذه لكفى، ولو لم يكن له نفعٌ إلا أن يذكرك ربك لكفى به نفعاً، فيا له من مجدٍ وسؤددٍ وزُلفى وشرفٍ.

• تتعرضُ البعوضةُ للأسدِ كثيراً وتحاولُ إيذاءه فلا يعيرُها اهتماماً ولا يلتفتُ إليها، لأنه مشغولٌ بمقاصده عنها.

• احذر المتشائم، فإنك تريه الزهرة فيريك شوكتها، وتعرضُ عليه الماءَ فيخرجُ لك منه القذى، وتمدحُ له الشمس فيشكو حرارتها.

• أتريدُ السعادة حقاً؟! لا تبحثُ عنها بعيداً، إنها فيك؛ في تفكيرك المبدع، في خيالك الجميل، في إرادتك المتفائلة، في قلبك المشرق بالخير.

• السعادةُ عطرٌ لا يستطيعُ أن ترشهُ على من حولك دونَ أن تعلق به قطراتٌ منه.

• كثيرون من الناس يعتقدون أن كلَّ سرورٍ زائلٌ ولكنهم يعتقدون أن كلَّ حزنٍ دائمٌ، فهم يؤمنون بموتِ السرورِ، ويكفرون بموتِ الحزنِ.

• بعضنا مثلُ السمكةِ العمياءِ تظنُّ وهي في البحرِ أنها في كأسٍ صغيرٍ، فنحنُ خلقنا في عالمِ الإيمانِ فأحطنا أنفسنا بجبالِ الكرهِ والخوفِ والعداوةِ والحزنِ.

• لماذا تسمعُ نباحِ الكلابِ ولا تنصتُ لغناءِ الحمامِ؟! لماذا ترى من الليلِ سواده، ولا تشاهدُ حسنَ القمرِ والنجومِ؟! لماذا تشكو لَسعِ النحلِ وتنسى حلاوةَ العسلِ?!.

• إذا اشتد عليك الأمرُ وضاق بك الكربُ وجاءك اليأسُ؛ فانتظرِ الفرجَ.

• إذا أردت الله يفرجَ عنك ما أهمك فاقطعْ طمعك في أي مخلوقٍ صغرَ أم كبر، ولا تعلقْ على أحدٍ أملاً غيرَ الله، وأجمع اليأسَ في الناسِ كافةً.

• إذا أطعت المعبودَ، ورضيتَ بالوجودِ، وسلوتَ عن المفقودِ، فقد نلتَ المقصودَ، وأدركتَ
كلَّ مطلبٍ محمودٍ.

• من عنده بستان في صدره من الإيمانِ والذكرِ، ولديه حديقةٌ في ذهنه من العلمِ والتجاربِ، فلا
يتأسف على ما فاته من الدنيا.

• إنَّ من يؤخر السعادةَ حتى يعود ابنه الغائبُ، ويبني بيته، ويجدُ وظيفةً تناسبه، إنما هو مخدوع
بالسرابِ، مغرورٌ بأحلامِ اليقظةِ.

• السعادةُ: هي عدمُ الاهتمامِ، وهجرُ التوقعاتِ وإطراحُ التخويفاتِ.

• البسمةُ: هي السحرُ الحلالُ، وهي عُربونُ المودةِ وإعلانُ الإخاءِ، وهي رسالةٌ عاجلةٌ تحملُ
السلامَ والحبَّ، وهي صدقةٌ متقلبةٌ تدلُّ على أن صاحبها راضٍ مطمئنٌ ثابتٌ.

• أنْهَكَ عن الاضطرابِ والارتباكِ والفوضويةِ، وسببها تركُ النظامِ وإهمالُ الترتيبِ، والحلُّ أن
يكون للإنسانِ جدولٌ متزنٌ فيه واقعيٌّ ومرانٌ.

• إذا وقعت عليك مصيبةٌ أو شدةٌ فافرحْ بكلِّ يومٍ يمرُّ؛ لأنه يخففُ منها وينقصُ من عمرها، لأنَّ
للشدةِ عمراً كعمرِ الإنسانِ لا تتعداه.

• ينبغي أن يكون لك حدٌّ من المطالبِ الدنيويةِ تنتهي إليه، فمثلاً تطلبُ بيتاً تسكنه وعملاً
يناسبك، وسيارةً تحملُك، أما فتحُ شهيةِ الطمعِ على مصراعيها فهذا شقاءٌ.

• ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ سُنَّةٌ لا تتغيرُ لهذا الإنسانِ فهو في مجاهدةٍ ومشقةٍ ومعاناةٍ، فلا بد
أن يعترف بواقعه ويتعامل مع حياته.

• يظنُّ من يقطعُ يومه كله في اللعبِ أو الصيدِ أو اللهو أنه سوف يسعدُ نفسه، وما علم أنه سوف يدفع هذا الثمنَ همًا متصلًا وكدرًا دائمًا؛ لأنه أهمل الموازنة بين الواجباتِ والمسلياتِ.

• كان الصحابة أسعدَ الناسِ لأنهم لم يكونوا يتعمقون في خطراتِ القلوبِ، ودقائقِ السلوكِ، ووساوسِ النفسِ، بل اهتموا بالأصولِ، واشتغلوا بالمقاصدِ.

• ينبغي أن تهتمَّ بالتركيزِ، وحضورِ القلب عند أداء العباداتِ، فلا خَيْرَ في علم بلا فقهه، ولا صلاةٍ بلا خشوعٍ، ولا قراءةٍ بلا تدبُّرٍ.

• ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ فالطَّيِّبَاتُ من الأقوالِ والأعمالِ والآدابِ والأخلاقِ والزوجاتِ للأخيارِ الأبرارِ، لتتمَّ السعادةُ بهذا اللقاءِ، ويحصلَ الأُنسُ والفلاحُ.

• ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ يكظمونه في صدورهم فلا تظهرُ آثاره من السبِّ والشتمِ والأذى والعداوةِ، بل قهروا أنفسهم وتركوا الانتقامَ.

• ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ وهم الذين أظهروا العفوَ والمغفرةَ وأعلنوا السماحَ وأعتقوا من آذاهم من طلبِ الثأرِ، فلم يكظموا فحسبُ بل ظهرَ الحلمُ والصفحُ عليهم.

• ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهم الذين عفا عن ظلمهم بل أحسنوا إليه وأعانوه بمالهم وجاههم وكرمهم، فهو يسيءُ وهم يحسنون إليه، ولهذا أعلى المراتبِ وأجلُّ المقاماتِ.

• ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ فهما وقودُ الحياةِ، وزادُ السيرِ، وبابُ الأملِ، ومفتاحُ الفرجِ، ومن لزم الصبرَ، وحافظ على الصلاةِ؛ فبشره بفجرٍ صادقٍ، وفتحٍ مبینٍ، ونصرٍ قريبٍ.

• جُلِدَ بِلَالٌ وَضُرِبَ وَعُذِّبَ وَسُحِبَ وَطُرِدَ فَأَخَذَ يَرُدُّ: أَحَدٌ أَحَدٌ، لِأَنَّهُ حَفِظَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ احْتَقَرَ مَا بَدَلَ، وَاسْتَقَلَّ مَا قَدَّمَ لِأَنَّ السَّلْعَةَ أَعْلَى مِنَ الثَّمَنِ أَوْضَعًا مَضَاعِفَةً.

• كل العقلاء يسعون لجلبِ السعادةِ بالعلمِ أو بالمالِ أو بالجاهِ، وأسعدُهُم بها صاحبُ الإيمانِ لِأَنَّ سَعَادَتَهُ دَائِمَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ.

• من السعادةِ سلامةُ القلبِ من الأمراضِ العقديةِ كالشكِّ والسخطِ والاعتراضِ والريبةِ والشبهةِ والشهوةِ.

• أَعْقَلَ النَّاسِ أَعْدَرُهُم لِلنَّاسِ، فَهُوَ يَحْمِلُ تَصَرُّفَاتِهِمْ وَأَقْوَالَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الْمَحَامِلِ، فَهُوَ الَّذِي أَرَاهُ وَاسْتَرَاحَ.

• ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ اقْنَعْ بِمَا عِنْدَكَ، اَرْضَ بِقِسْمِكَ، اسْتِثْمِرْ مَا عِنْدَكَ مِنْ مَوْهَبَةٍ، وَظَفْ طَاقَتَكَ فِيمَا يَنْفَعُ وَاحْمِدِ اللَّهَ عَلَى مَا أَوْلَاكَ.

• مِنْ عَرَفَ حُسْنَ اخْتِيَارِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ هَانَتْ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ، وَسَهَلَتْ عَلَيْهِ الْمَصَاعِبُ، وَتَوَقَّعَ اللَّطْفَ مِنَ اللَّهِ، وَاسْتَبَشَرَ بِمَا حَصَلَ، ثَقَّةً بِلَطْفِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ، وَحَسَنَ اخْتِيَارِهِ، حِينَهَا يَذْهَبُ حَزْنُهُ وَضَجْرُهُ وَضَيْقُ صَدْرِهِ، وَيَسْلَمُ الْأَمْرَ لِرَبِّهِ جَلًّا فِي عِلَاةِ، فَلَا يَتَسَخَطُ وَلَا يَعْتَرِضُ، وَلَا يَتَذَمَّرُ، بَلْ يَشْكُرُ وَيَصْبِرُ، حَتَّى تَلُوحَ لَهُ الْعَوَاقِبُ، وَتَنْقَشُ عَنْهُ سَحْبُ الْمَصَائِبِ.

• نُوِّحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُؤَذَى أَلْفَ عَامٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فِي سَبِيلِ دَعْوَتِهِ، فَيَصْبِرُ وَيَحْتَسِبُ وَيَسْتَمِرُّ فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ إِلَى التَّوْحِيدِ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجَهْرًا، حَتَّى يَنْجِيَهُ رَبُّهُ وَيَهْلِكَ عَدُوهُ بِالطُّوفَانِ.

• إبراهيم عليه السلام يُلقى في النار فيجعلها الله عليه برداً وسلاماً، ويحميه من النمرود، وينجيه من كيد قومه وينصره عليهم، ويجعل دينه خالداً في الأرض.

• موسى عليه السلام يتربص به فرعون الدوائر، ويحيك له المكائد، ويتفنن في إيذائه ويطارده، فينصره الله عليه ويعطيه العصا تلقف ما يأفكون، ويشق له البحر ويخرج منه بمعجزة، ويهلك الله عدوه ويخزيه.

• عيسى عليه السلام يحاربه بنو إسرائيل، ويؤذونه في سمعته وأمه ورسالته، ويريدون قتله فيرفعه الله إليه وينصره نصراً مؤزراً، ويبوء أعداؤه بالخسران.

• رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يؤذيه المشركون واليهود والنصارى أشد الإيذاء، ويزوق صنوف البلاء، من تكذيب ومجابهة ورد واستهزاء وسخرية وسب وشتيم واتهام بالجنون والكهانة والشعر والسحر والافتراء، ويطرد ويحارب ويقتل أصحابه ويُنكل بأتباعه، ويتهم في زوجته، ويزوق أصناف النكبات، ويهدد بالغارات، ويمر بأزمات، ويجوع ويفقر، ويجرح، وتكسر ثنيتُه، ويشج رأسه ويفقد عمه أبا طالب الذي ناصره، وتذهب زوجته خديجة التي واسته، ويُحصَر في الشعب حتى يأكل هو وأصحابه أوراق الشجر، وتموت بناته في حياته وتسيل روح ابنه إبراهيم بين يديه، ويُغلب في أحد، ويُمزق عمه حمزة، ويتعرض لعدة محاولات اغتيال، ويربط الحجر على بطنه من الجوع ولا يجد أحياناً خبز الشعير ولا رديء التمر، ويزوق الغصص ويتجرع كأس المعاناة، ويُزلزل مع أصحابه زلزالاً شديداً وتبلغ قلوبهم الحناجر، وتعكس مقاصده أحياناً، ويبتلى بتيه الجابرة وصلف المتكبرين وسوء أدب الأعراب وعجب الأغنياء، وحقد اليهود، ومكر المنافقين، وبطء استجابة الناس، ثم تكون

العاقبة له، والنصر حليفه، والفوز رفيقه، فيظهر الله دينه، وينصر عبده، ويهزم الأحزاب وحده، ويخذل أعداءه ويكبتهم ويخزيهم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

• وهذا أبو بكر يتحمل الشدائد، ويستسهل الصعاب في سبيل دينه وينفق ماله ويبدل جاهه، ويقدم الغالي والرخيص في سبيل الله، حتى يفوز بلقب الصديق.

• وعمر بن الخطاب يضرج بدمائه في المحراب، بعد حياة ملؤها الجهاد والبذل والتضحية والزهد والتقشف وإقامة العدل بين الناس.

• وعثمان بن عفان ذبح وهو يتلو القرآن، وذهبت روحه ثمناً لمبادئه ورسالته.

• وعلي بن أبي طالب يُغتال في المسجد، بعد مواقف جليّة ومقامات عظيمة من التضحية والنصر والفداء والصدق.

وفي الختام، تقبل تحياتي، وهاك سلامي مقرونًا بدعائي لك بالسعادة...

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.